دائرة المعارف الفلسطينية
بنك معلومات القدس
(2)

الأقباط في بيت المقدس

تأليف:
عبد الحميد أبو النصر

تصدر بإشراف
إ. د. يحيى جبر
أستاذ علم اللغة

تصميم: أ. عبد الهادي جوابرة

يتحدث عن الأقباط الذين ينتمون إلى إحدى الطوائف المسيحية التي تعيش في فلسطين مثلها مثل كثير من الطوائف وأولها الأرثوذكسية ثم الكاثوليك والبروتستانت وهناك فرق مسيحية أخرى كالأرمن والروم والسريان والموارنة واليعاقبة والأحباش وغيرهم. وقد شكل حضورهم انسجاما مع النسيج الفلسطيني المسيحي، ولم يخرجوا عن هذا الإطار وشكلوا لوحة في التعايش، ودليلا للتسامح الإسلامي المسيحي ولحمة الأديان في مدينة السلام التي تتعرض للعدوان الإسرائيلي حتى يومنا هذا .

ويأتي هذا البحث جزءا من سلسلة ستشمل عدة طوائف ومعتقدات أخرى تعيش في مدن فلسطين.

جامعة النجاح الوطنية

بنك معلومات القدس (2)

أقباط بيت المقدس

إعداد وتأليف

عبد الحميد محمود ابو النصر

تصدر بإشراف

أ. د يحيى جبر

أستاذ علم اللغة بجامعة النجاح الوطنية

التصميم والمونتاج: عبد الهادي جوابرة

الهيئة الاستشارية:

- أ. د. يحيى جبر
- أ. د. حكمت هلال
- أ. د. خليل عودة
- أ. آمنة البرق
- د. رائد عبد الرحيم
- د. نجاة عبد الرحمن/ كندا
- د. عبد الحميد الفراني / غزة

جميع الحقوق محفوظة لجامعة النجاح الوطنية

نابلس

الطبعة الاولى 2014م

(يمكن تحكيم الأبحاث للراغبين في ذلك على نفقة المؤلف)

تعريف بدائرة المعارف الفلسطينية

محاور دائرة المعارف الفلسطينية

- موسوعة علماء فلسطين وأعيانها، ويتضمن هذا المحور مادة الموسوعة التربوية الفلسطينية وزيادة
- خزانة فلسطين التاريخية
- خزانة فلسطين الجغرافية
- سلسلة التراث الشعبي الفلسطيني «من الخابية»
- بنك معلومات القدس

المحتوى:

نأمل أن تحتوي هذه الدائرة على كل ما يتصل بفلسطين الأرض والإنسان، مخترقة حدود المكان والزمان .وهي مبوبة في محاور بحسب الموضوعات التي تشتمل عليها، فقِسم لعلماء فلسطين وأعيانها عبر القرون، بغض النظر عن ديانتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية والحزبية، وآخر يتضمن خزانة فلسطين التاريخية، ندرج فيه وقائع الزمن، والحوادث التي تعاقبت على فلسطين، وثالث يخصص لخزانة فلسطين الجغرافية، فلا نترك موقعا ولا بلدا ولا عينا ينتهي إليها علمنا إلا رصدناها فيه، كما تتضمن الدائرة قسما يخص المأثورات والفنون الشعبية الفلسطينية، أسميناه «من الخابية»؛ الوعاء الفلسطيني المشهور في بيوتنا قديما، وسيدرج في هذا الإطار كل ما يتصل بأنماط الحياة الشعبية مما له ارتباط بالقول أو العمل اليدوي أو الحركي .أما القسم الخامس فهو «بنك» للمعلومات المتصلة بالقدس على وجه الخصوص.

ولما كان المشروع على هذا القدر من التشعب والاتساع، فإننا نهيب بكل مطالع أن يبادر إلى تزويدنا بما لديه من معلومات على هيئة مادة إلكترونية، أو أن يرشدنا إلى المصادر التي يمكن أن نجد فيها ما يندرج في هذه الأطر، كما أننا نستاذن الباحثين والناشرين في نشر ما نجده من موادهم الإلكترونية في هذا الموقع. وسنسعى من بعد إلى إصدار المادة مطبوعة في مجلدات نحكِم ترتيبها بطريقة تسهل الرجوع إليها.

الهدف:

تهدف جامعة النجاح الوطنية من وراء هذا المشروع إلى توثيق فلسطين الأرض والإنسان انطلاقا من شعورها بالمسؤولية التاريخية تجاه فلسطين وقضيتها ومستقبلها، فلئن حالت الظروف المتعاقبة دون إنجاز المشروع الحضاري الفلسطيني وفقا لما يقتضيه انتماء فلسطين وأهلها؛ فليس أقل من النهوض بما يوثقها ويحفظها من الضياع، ولا سيما أن كل فلسطين مستهدفة أرضا وإنسانا وثقافة وتراثا.

الآلية:

سنبادر إلى رفع ما لدينا من مواد دائرة المعارف الفلسطينية على الشبكة الإلكترونية، وسنبدأ في الوقت نفسه بجمع المعلومات المختلفة ومعالجتها لرفعها، راجين من كل متصفح أن يبادر إلى الإسهام في هذا العمل الجليل، وسندرج اسم صاحب المشاركة إزاءها من باب حفظ الحقوق .وستصدر الجامعة مواد دائرة المعارف في كتب تنشر تباعا بحيث تتضمن المادة الأصلية وما قد يرد إلينا من تعليقات أو نقد أو مداخلات تتصل بها.

حدود المسؤولية:

لا تتحمل الجامعة أي مسؤولية تجاه ما ينشر، وإنما تقع المسؤولية أول ما تقع على عاتق المؤلف يليه في ذلك من يعترض أو ينتقد، لأننا ننشر ما ننشره ونترك للمتصفحين حق التعليق والتعقيب، وحق الرد والنقض، فنحن نعلم أن أحكامنا على الأشخاص والأشياء من حولنا تختلف، إذ أن كلا منا يحكم بحسب ما يتوفر لديه من معلومات، ونعد بنشر كل ما يرد إلينا من مداخلات أو تعليقات دون تدخل. ونأمل بذلك أن يتمخض الحوار عن الحقيقة التي تتكفل الأيام بحفظها بعد أن نعمل على جلائها.

تصدير

انطلاقا من الدور المنوط بجامعة النجاح الوطنية من حيث هي أكبر المؤسسات الأكاديمية في فلسطين، ومن استعدادها للنهوض بأعباء المشروع الحضاري الفلسطيني، فقد شرعت في إعداد دائرة المعارف الفلسطينية، وبادرت إلى جمع المعلومات التي تتصل بعلماء فلسطين وأعيانها، وبالمواقع الجغرافية، والوقائع التاريخية، إضافة إلى ما وعته الذاكرة وترجمته الحياة الشعبية من مأثورات قولية أو يدوية، إلى جانب ما يتصل بمدينة القدس مما نطمح إلى أن يشكل من بعد بنكا للمعلومات الخاصة بها.

وقد رأت الجامعة أن تكلف الأستاذ الدكتور يحيى جبر بمهمة الإشراف على هذا العمل الضخم، لخبرته في هذا المجال، إذ سبق أن أصدر تراجم لنحو من مائة من أعيان فلسطين وأعلامها، كما أصدر بضعة كتب تتصل بتاريخ فلسطين والمواقع الجغرافية الفلسطينية والأدب الشعبي.

إن جامعة النجاح الوطنية لترجو بهذا العمل أن تحقق مزيدا من التفاعل الحضاري على الساحة الوطنية في جميع مجالات المعرفة، ونحن من هنا نهيب بكل المعنيين أن يبادروا إلى التواصل مع الموقع المخصص لدائرة المعارف الفلسطينية، وأن يزودوه بما لديهم من معلومات، وألا يبخلوا بملاحظاتهم وإبداء آرائهم لما في ذلك من نفع يعود على الجميع، ولا سيما أننا سننشر ما يرد إلينا على مسؤولية مؤلفه؛ تاركين للمتصفحين حق الرد والتعليق والنقض، واعدين بأن ننشر ذلك من بعد في كتب تشكل أجزاء دائرة المعارف.

وتمثل هذه الدائرة، في حال إنجازها على الوجه المأمول، نجاحا وطنيا كبيرا، يسهم في تحقيقه الفلسطينيون هوية وهوى، وإن فلسطين لتستحق منا ذلك وأكثر، ونرجو بهذا العمل أن نوفق إلى توثيق فلسطين وحفظ تراثها والتعريف بأعيانها وعلمائها ونعرف بمواقعها ومأثوراتها، فلا تطالها إيدي المعتدين، ولا يجور عليها الزمن بالعفاء والاندثار.

إن الشعب الفلسطيني، وبالرغم مما تواتر في ساحته من الأحداث، لقادر على النهوض بعزيمة الغير من أبنائه، لتحقيق أهدافه المشروعة، متحديا الاحتلال، ومتمردا على ظروفه العصيبة، ومن هنا كانت مبادرة جامعة النجاح الوطنية إلى الشروع في إصدار أجزاء دائرة المعارف الفلسطينية، لتكون عونا للباحثين، ومصدر افتخار لأبناء فلسطين، وهذا أوان الشد.

أ.د. راميّ حمد الله
رئيس الجامعة

مقدمة

إن الشعوب التي تحرص على التواصل بين أجيالها المتعاقبة، وتحافظ على ذاكرتها يقظة حاضرة بشكل مستمر، لهي جديرة بالارتقاء في مراتب المجد، وبلوغ آمالها وتحقيق أهدافها؛ وإن أبطأ بها الزمان لما قد يعترض طريقها من عقبات كالاحتلال وتفرق الأسر ونقص الموارد، ولكنها لا تلبث حتى تحطم أغلالها، وتكسر قيدها، وتنطلق في مسيرتها بعزيمة وثبات.

وتسعى جامعة النجاح الوطنية بهذا العمل إلى تقديم كل ما نتوصل إليه من معلومات تتصل بالأرض والإنسان، إذ ستتضمن أسفار دائرة المعارف كلا من خزانة فلسطين التاريخية، وسلسلة "من الخابية" للمأثورات الشعبية، وموسوعة أعلام فلسطين وأعيانها، وخزانة فلسطين الجغرافية، وبنك معلومات القدس، ومن هنا، فإن جامعة النجاح الوطنية لترجو بهذا العمل أن تخطو بالمجتمع الفلسطيني خطوة جبارة على طريق السؤدد الاجتماعي والمجد. وسنكرر هذه المقدمة في صدر كل عدد من أسفار الدائرة، وقد اعتمدنا في تقديم المادة على إطلاق الحرية للمعدين، بغض النظر عن الاختلاف بين مناهجهم، وتفاوت الموضوعات التي يتناولونها، كما تركنا المجال مفتوحا لهم لجمع ما يرونه من المعلومات عن هذا العلم أو ذاك، وعن هذا الحدث أو ذلك الموضوع، على نحو ما يجده المطالع في هذه الأسفار من تفاوت.

وجدير بالذكر أننا لا نحقق في صحة المعلومات الواردة إلينا، فذلك يحتاج إلى جهود لا سبيل إلى توفيرها، ولكننا، ومن أجل أن يظل الباب مفتوحا أمام التصويب والتصحيح، لنرجو من كل القراء أن يبدوا آراءهم في ما يقرؤونه، وأن يعقبوا عليه ـ إن شاؤوا ـ سلبا أو إيجابا، لأننا نعلم أن بعض المسائل والأعلام تشكل لغزا يصعب حله، والتحقق من أمره، ومرادنا هو أن نقدم للقراء صورة صادقة عن ما تدور حوله موضوعات دائرة المعارف الفلسطينية؛ ملونة بألوانها التي تحملها مرددين مقولة « هذا نحن» بما لنا وما علينا، والقارئ شريك الكاتب .... هذه حقيقة علمية نحاول أن نصدر عنها.

كما نرجو من القراء الكرام أن يبادروا إلى الإسهام في إعداد هذه العمل، وفي غيره من فروع دائرة المعارف الفلسطينية، وألا يألوا جهدا في سبيل إنجازها على أكمل وجه وأوفاه، لأن فلسطين تستحق منا ذلك وأكثر، فقد دقت ساعة العمل، وحان الوقت لنفض غبار الزمن، ورفع راية التحدي الحضاري.

وكنت في العقدين السابقين قد أصدرت نحوا من خمسة وأربعين مطبوعة تضمنت تراجم لكثير من أعيان فلسطين، وتراثها وجغرافيتها، ولكنني لم أتمكن من مواصلة إصدارها لأسباب مختلفة، حتى كانت مبادرة الأستاذ الدكتور رامي حمد الله حين أبدى رغبة الجامعة في إعادة إصدارها ،وتَقَصّي سير الأعلام الفلسطينيين على أوسع نطاق ممكن؛ وفتق غرارها لتتضمن فروع الدائرة سالفة الذكر.

وهنا لا بد من كلمة حق أنوّه فيها بجهود الأستاذ الدكتور رامي حمد الله، رئيس الجامعة، وضابط إيقاع أنشطتها المختلفة، وأثني على دوره الفعال في رفع شأن العلم والعلماء، وتشجيع الفعاليات الثقافية والعلمية في الجامعة والمجتمع، إذ لولا ذلك منه لما أتيح لهذا العمل أن يرى النور بصورته العتيدة. والله الموفق للسداد.

أ.د. يحيى جبر

إهداء

إلى أرواح الشهداء الذين سقطوا دفاعًا عن أرض فلسطين

إلى الشهداء المسيحيين الذين قاتلوا مع صلاح الدين الأيوبي دفاعًا عن بيت المقدس

إلى أقباط مصر الكنانة

شكر وتقدير

إلى بيت القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية

غزة – فلسطين

إلى المراجعة والتدقيق اللغوي أ. فهد الجمل

المحتويات

الفصل الأول

نظرة عامة 17

تعريف الأقباط 19

ديموغرافيا القبطية في فلسطين 21

العلاقات القبطية الفلسطينية 27

استقرار الأقباط في فلسطين 29

الفصل الثاني

الثقافة والعمارة والقوانين القبطية 31

قوانين الكنيسة 33

الكتابة وأدواتها 35

الأسماء القبطية 38

العمارة القبطية ومعالمها 39

الفن القبطي 46

أهم ممتلكات الأقباط خارج القدس 48

الفصل الثالث

علاقات الأقباط بالأديان والطوائف 51

الأقباط والأرثوذكسية 53

الأقباط والمسلمون 55

علاقة أقباط القدس بالديانات والأقليات الأخرى 59

الفصل الرابع

الحياة السياسية القبطية 63

الموقف القبطي من القضية الفلسطينية 65

الاعتداءات على المقدسات المسيحية والقبطية 68

الخاتمة 73

ملاحق 75

قائمة المراجع 81

هذا الكتاب

يؤكد على المشترك الثقافي الذي بين المصريين، بصرف النظر عن اختلاف أصولهم البعيدة، واختلاف عقائدهم، ومذاهبهم الدينية، فلقد تعرض شعب مصر لاختلاط بشعوب بلاد أخرى من مناطق مختلفة منذ فترة بعيدة جدًا في التاريخ المدرك إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، (عصر الأسرة الثالثة عشر، الدولة الوسطى) حين زحف إليها الرعاة (الهكسوس) من جهة الشمال الشرقي عبر الصحراء، ثم منذ نهاية حكم الأسرات القديمة، حين قدم الفرس (سنة340ق.م) ثم الإسكندر المقدوني (سنة333ق.م)، ثم الرومان (سنة30 ق.م)، ثم عرب الجزيرة العربية (سنة640م)، ثم الأتراك العثمانيون في عام 1517 ومن جاء في ركابهم من الأناضول، وبلاد البلقان فضلًا عن قدوم شعوب جزر البحر المتوسط بما فيها اليونان وإيطاليا القديمة.

ولقد أوجدت هذه المسيرة الطويلة عدة ثقافات متنوعة، حملتها الشعوب التي وفدت إليها على فترات مختلفة، وتفاعل أصحاب تلك الثقافات مع الثقافة المصرية الأصيلة؛ حتى تبلورت عنها في النهاية مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأفكار صنعت الملامح الأساسية (لثقافة المصريين)، في مقدمتها طبيعة التدين التي تفسر كثيرًا من المواقف والتصرفات المأثورة عن المصريين، والتي يمكن للأجنبي أن يلمحها بسهولة.

ولقد فرض هذا التدين إيمانًا متبادلًا بمعجزات الأديان، يتضح عند الملمات فيما يعرف بالمعتقدات الشعبية، وذلك حين يذهب أقباط لمولد سيدنا الحسين، أو السيدة زينب، أو السيد البدوي للشفاء، ويذهب مسلمون إلى مولد مار جرجس وأبو سيفين، وكنيسة العذراء بالزيتون، والدير المحرق بأسيوط .

ومن هذا التدين تولدت قيمة المحافظة على التقاليد، وعلى الأفكار، والعزوف عن الجدل، وعدم استحسان كثرة اختلاف الآراء، وخاصة في أمور الدين. كما تولدت قيمة الاعتدال ومن ثم الوسطية المسؤولة إلى حد بعيد عن تعثر شيوع أفكار التطرف يمينًا أو يسارًا بالنسبة إلى المذاهب الدينية والاجتماعية، وشيوع فكرة الاختيار الثقافي من مجمل الأفكار الواردة بما يتفق مع الأصول، وترك الباقي باعتباره من الأمور الغربية .

وهذا الموروث الثقافي بين المصريين أدى دوره في التماسك الاجتماعي؛ بحيث يمكن القول أنَّ ما يجمع بينهم من عادات وتقاليد أكثر مما يفرقهم على مستوى اختلاف الأديان .

وللقارئ أن يتابع في الصفحات القادمة هذا السلوك الثقافي لأقباط مصر (المسيحيون) في بيت المقدس، وتعاملهم مع أهالي القدس بالمحبة، والوفاء وكأنهم لم يغادروا وطنهم مصر .

د. عاصم الدسوقي
العجوزة - القاهرة

مقدمة

إنَّ هـذا الكتـاب يتنـاول طائفـة مهمـة، عاشـت في القـدس طـوال قـرون، وتـرك وجودهـا بصمـة مثلهـا مثـل الطوائـف المسـيحية الأخـرى الـتي عاشـت في كنـف بيـت المقـدس، ودلّـت عـلى التعايـش الإسـلامي المسـيحي، حيـث حـرص الأقبـاط عـلى التقـرب مـن هـذا المـكان المقـدس، ومنـاصرة القـدس وإبقـاء الوجـود القبطـي قريبًـا منهـا. وقـد كتـب عـدد ليـس بقليـل عـن الأقبـاط إلا أنّي رأيـت قلـة مـن الكتـب تتحـدث عـن الوجـود القبطـي في فلسـطين وبيـت المقـدس، فآثـرت أن أبـادر بهـذا الكتـاب ليضـع رؤيـة مبسَّـطة حـول هـذا الوجـود، إضافـة إلى حالـة العلاقـة الموجـودة منـذ الأزل بـين مـصر الكنانـة وفلسـطين الكناعنـة. ويـأتي هـذا الإصـدار في ظـروف عصيبـة عاشـتها مـصر الحبيبـة بـين مسـلميها وأقباطهـا وحالـة التغيـير، الـتي طـرأت بعـد ثـورة 25 ينايـر 2011م؛ لنحـاول أنْ نبـيّن مـدى وحـدة هـذا الشـعب، وأنَّـه أمَّـة واحـدة لا تفرّقهـا المؤامـرات الخارجيـة والإرهاصـات الداخليـة، رغـم تعـدد الخلافـات القبطيـة الإسـلامية عـلى مـدى سـنوات إلّا أنَّ الأكيـد الُّلحمـة تغلـب الشـعب وسـيبيِّن الفصـل الأول الـذي يشـمل تعريـف الأقبـاط الأصـول القبطيـة للشـعب المـصري وعـادات وتقاليـد الشـعب الواحـد، وعلاقتـه بفلسـطين واسـتقرار بعضهـم فيهـا، فيمـا سـيتطرق الفصـل الثـاني إلى مختلـف جوانـب الحيـاة الثقافيـة العمرانية، وأهـم معالمها في القـدس الشريـف، أمَّـا الفصـل الثالـث سيشـمل العلاقـات القبطيـة بالديانـات كافّـة، والطوائـف والأقليـات في القـدس خاصَّـة، وانعـكاس ذلـك عـلى الحيـاة الرَّوحانيَّـة في المدينـة، والفصـل الأخـير يشـمل الحيـاة السياسـية للأقبـاط، والتحـام الألـم القبطـي الفلسـطيني، والمعانـاة المشـتركة مـن بطـش الاحتـلال وتقاسـم نفـس المصـير في القـدس . وقـد حاولـتُ أنْ أشـمل عـددًا مـن المواضيـع المهمَّـة، والـتي لا يمكـن القفـز عنهـا؛ خاصّـة مـا يخـص ديـر السـلطان، والـذي شـكل نقطـة تحـول في العلاقـات القبطيـة مـع طوائـف أخـرى، وقـد ذُكِـرَ هـذا الموضـوع كثـيرًا في الوثائـق العثمانيـة، والمراسـلات المهمَّـة في القـدس، وبالتأكيـد لا

أدَّعي أنْ جهدي هذا كاملًا، ولكنِّي آمل من الله التوفيق، وسيأتي بعدي مَن يصحح أو يضيف، وسأكون من الشاكرين، ومن المعترفين؛ لأنَّنا نبحث من أجل المعرفة والحقيقة، ونحن نكتب للتاريخ قصصًا وروايات الأقدمين .

عبد الحميد أبو النصر

غزة ـ فلسطين

صيف 2013

الفصل الأول

نظرة عامَّة

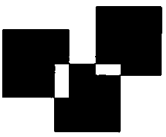

1 ـ تعريف الأقباط:

«الأقباط هم المصريون القدماء؛ حيث سُمِّيتْ مصر قبل الفتح الإسلامي بدار القبط، وسكانها الأقباط، ورأى البعض أنَّ كلمة قبط أصلها قبطيم بن مصرايم بن حام بن نوح الذي سكن وادي النيل وبنى مدينته فقط»1، وإنّ قبطيم أول من عمل العجائب بمصر، وأبرز بها المعادن، وشقَّ الأنهار لمّا ولي أرض مصر بعد أبيه مصرايم، وإنَّه لحق بلبلة الألسن وخرج منها، وهو يعرف اللغة القبطية، وإنه ملك مدة ثمانين سنة ومات، فاغتمّ لموته بنوه وأهله ودفنوه في الجانب الشرقي من النيل، بسرب تحت الجبل الكبير، فقام من بعده في ملك مصر بأنه قفطيم بين قبطيم»2. وبذلك فإنَّ القبط هم جيل من أهل مصر الأولين وأحدهم قبطي والمعروف أنَّ كلمة قبط أو أقباط كانت لا تعني وقت الفتح الإسلامي العربي مذهبًا دينيًا، ولا ترادف كلمة مسيحي مصر وإنَّما كانت تعني أهل مصر، ويظهر من نصوص مختلفة أنَّ كلمة قبط كانت تعني المصريين، مسلمين كانوا أو مسيحيين، على الأقل حتى القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) وإنْ كان بمرور الزمن، وحتَّى الآن تعنى المصريين المسيحيين»3. وبذلك يعتبر المجتمع المصري قبطي الأصل، وأسلم الجزء الأكبر منه فيما بقي ما يعادل10% حاليًا يشكِّلون أقباط مصر الذين يدينون المسيحية، موزعين على محافظات مصر. وقد أطلق الأشوريون عليهم هيكوبتون - سكان وادي النيل - فيما أطلق عليهم المؤرخون اليونانيون فيما بعد لقب ايجيبتوس المصريون.

وقد رأى الكاتب فرج زخور أنّهم ينتمون إلى الإثنية ذي الطابع الواحد والثقافة الواحدة، وينتمون للمجتمع الأكبر، ولهم مظاهر تمثَّلت في العادات واللغة. ولكنْ باعتقادي الشخصي أنَّ المسلمين والأقباط اشتركوا في العادات المتوارثة عن الأصل القبطي، لكنّهم اختلفوا في اللّغة والدّين باعتبار أنَّ لغة الإسلام هي العربية، والأكثر

1-- فرج توفيق زخور، قصة الأقباط، جروس برس، لبنان، ط1993،1م،ص15.

2- د. عبد المجيد دياب، تحقيق مخطوط تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، للعلامة المقريزي، دار الفضيلة،1441م،ص18 .

3- سيدة كاشف، مصر الاسلامية واهل الذمة، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،ص83 .

انتشارًا فيما ظلت مصرُ أُمَّةً واحدة تجمعهما.

والكنيسة القبطية نجد لها حضورًا قليل العدد نسبيًا في الأرض المقدّسة، لكنّها تحصي حوالي ١٨ مليون مؤمن في العالم يقيم غالبيتهم في مصر، وكنيسة الأقباط الأرثوذكس هي ذلك الجزء من الكنيسة الأرثوذكسية الذي يقيم في مصر، والذي انفصل عن الكنيسة البيزنطية في أعقاب مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م. يقال أنّ الكنيسة المصريّة تستقي جذورها مباشرة من القديس مرقس الرسول والإنجيلي، الذي بشّرها بالمسيحيّة في الإسكندرية حوالي ١٢ عامًا بعد صعود المسيح إلى السماء، وذلك رغم أنّ الأقباط يشيرون إلى أنّ أساس كنيستهم وطقوسهم وليتورجيتهم تعود إلى القرن الثالث الميلادي.

الجنس :

القبط في العصر الحاضر الأكثرية العددية بالنسبة إلي سكان مصر، وبالرغم من دخول أجناس كثيرة إلى مصر، إلّا أنّها لم تؤثّر في النسبة الإجمالية من عدد السكان إلّا بحوالي 2% من الأجناس الواردة بفعل الفتوحات والهجرات المختلفة كما جاء في موسوعة شخصية مصر للدكتور جمال حمدان، على هذا الأساس يكون معظم القبط مسلمين ومسيحيين هم الأكثرية العدديّة في القطر المصريّ، بينما الأجناس الوافدة على مرّ التّاريخ لم تؤثّرْ في الجنس المصري إلّا بالنذر اليسير. وهنا لابدّ من ملحوظة مهمة، وهي أنّ كلمة (قبط) يجب أنْ تطلق على المصريين جميعًا مسلمين ومسيحيين، وأنَّ استخدامها للإشارة فقط إلى المسيحيين هو استعمال خاطئ، وقد بدأ العلماء منتصف القرن التاسع عشر بدراسة القبط، ونشر مورتون في فيلادلفيا سنة1844م كتابه المُسمَّى الجنس المصري الأصيل، وقال فيه إنَّ القبط خليط من الجنس القوقازي، والجنس الزنجي، وذلك بنسب مختلفة، وهم سلالة مباشرة لقدماء المصريين . ثمَّ أخذ العلماء عنه هذا الرأي حتى أظهرت البحوث الحديثة، وأجمع العلماء وأهمهم اوتكينج على أنّ الأقباط شعب أبيض من شعوب البحر المتوسط، وهم لم يحافظوا على بعض ميزات الجنس المصري الأصيل فحسب؛ بل احتفظوا إلى الآن بالسحن المصرية القديمة، وكان اختلاطهم بالأجناس المختلفة قليلًا لمْ يؤثّرْ فيهم، ممَّا أدهش علماء الأجناس الذين أثبتوا أنَّ مقاييس الرأس والقامة تكاد تكون متماثلة تمامًا بين المومياء المصرية القديمة، وهياكل العظام في العصور الأولى وبين أقباط اليوم مسلمين ومسيحيين.

ديموغرافيا القبطية في فلسطين:

ينحدر الأقباط الحاليون من سكان مصر الأقدمين، والذي يرجع أصولهم إلى الاختلاط بسكان البحر المتوسط الأوروبي القوقازي المتميز، بتدرج بشرة أفراده من الأبيض الفاتح حتى الأسود الغامق، مع سلالة الفراعنة وشكّلوا سكان مصر حاليًا، وذكرت إحصائية فرنسية زمن حملة نابليون بونابرت أنَّ 88% من سكان مصر من أصول عائلات قبطية مصرية قديمة، يزيدون في الصعيد (أسيوط والمنيا وسوهاج وقنا) ويقلون في الدلتا أمّا القاهرة فيتمركزون في الأزبكية ومصر الجديدة والقديمة والساحل»[1].

وقُدِّر عدد السكان الأقباط في القدس وفلسطين بـ(2500) نسمة منهم (1500) يعيشون في أراضي سنة 1948م، منذ زمن القائد سليمان القبطي، الذي جاء مع الحملة الفرنسية من مصر واستقرَّ شمال فلسطين، وكَوَّنَ الطائفة القبطية»[2].

وقد شهدت مصر هجرة قبطية إلى كندا، وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، منذ بداية الستينات وقليلًا جدًّا توجهوا نحو الدول العربية ومن بينها فلسطين .

فاختلف المؤرخون والمستشرقون في تحديد عدد الأقباط في فلسطين عبر التاريخ وتعدادهم في القدس، فذكر د. محمد العفيفي أنَّه لا يتوافر سوى بعض التقديرات من جانب بعض الرحالة أو بعض رجال الدين بهذا الشأن، وهي في مجملها لا تعدو أنْ تكون سوى تقديرات لا تعطي لنا صورة حقيقية عن حجم الوجود القبطي في القدس، وتَطَوُّرِه عبر القرون . أمَّا أبو سيف يوسف تحدَّث أنَّ عددهم في فلسطين يُقدَّر ببضع مئات موزعين في القدس وغزة واللد وحيفا»[3]، دون أنْ يضع رقم معين .

ففي عام 1817م قدَّر أحدُ الرَّحالة الغربيين عدد الأقباط في القدس حوالي 50 قبطيًا، وفي عام 1837م تحدَّث مصدر آخر عن وباء الكوليرا الذي عصف بالقدس آنذاك، وذكر أعداد من مات من الطوائف المسيحية بالقدس، مُقَدِّرًا عدد من راح من الأقباط في هذا الوباء بسبعة أفراد، وفي عام 1853م ذكر أحد الرحالة أنَّ الأقباط في القدس من الناحية العددية لم يكن كبيرًا إذ قارنّاه بأعداد بعض الطوائف المسيحية

1-- مرجع نفسه،ص17.

2-- ميسة ابو غزالة، الأقباط في القدس شاهد ومسيرة، القبس الكويتية، العدد 13068، الكويت، ص26.

3-- أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1987م،ص21.

الأخرى، وحدَّد هذا المصدر عدد المسيحيين الروم بحوالي ألفين، وعدد الكاثوليك بحوالي تسعمائة، والأرمن 350 فردًا»[1]، مع ذلك تتفوق الجالية القبطية في القدس من حيث العدد على بعض الجاليات المسيحية الأخرى، إذ يقدر عدد السريان في القدس آنذاك بحوالي عشرين، ونفس الرقم بالنسبة للأحباش وهذا يعني أن عدد الأقباط لم يكن كبيرا .

أما الأنبا باسيليوس المطران القبطي للكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى حدد عدد الأقباط في كل فلسطين في عام 1948م بحوالي عشرة آلاف نسمة وهو رقم كبير قياسا لما ذكر سابقا ، وتحدث مصدر آخر عن عدد الأقباط في القدس في خمسينيات القرن العشرين وقدره بحوالي خمسمائة نسمة، ويرى هذا المصدر أنَّ هذا الرقم قد ارتفع ليصل إلى حوالي ألف نسمة عند عام 1970م، وذُكِرَ أيضًا أنَّ عدد الأقباط في القدس تجاوز 10 آلاف نسمة حتى مثول الألفية الثانية، وأعتقد أنَّ الرقم أقلُّ من ذلك مع العلم أنَّ كثيرًا من الأقباط في فلسطين تزوجوا بمسيحيين أرثوذكس واندمجوا في الحياة الفلسطينية؛ لذلك لا يمكن إعطاء الرقم الصحيح لعددهم وإنما قد يكون الأصح والأقرب .

وتنحدر عشرات الأسر الفلسطينية في القدس من أصول قبطية، ولعلَّ أهم هذه الأسر عائلات خوري، حبش، رزوق، جدعون، قبطة، مناريوس، حلبي، مينا، مرقص»[2]، وهذا يبيِّن تطوُّرَ الوجود القبطي في القدس عبر العصور .

الأعياد القبطية:

نعلم أنَّ نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية، وأعيادهم التي هي مشهورة بديار مصر، أربعة عشر عيد في كل سنة من سنيهم القبطية .

ومنها سبعة أعياد يسمونها أعيادًا كبارًا وهي:

- **عيد البشارة:** عيد النصارى وأصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام، وهو في اليوم التاسع والعشرين، من شهر برمهات»[3].

1-- مايكل عادل، الأقباط والقدس.. بين الحق الضائع والحلم الممنوع، صحيفة روز اليوسف، العدد 1912م، القاهرة، 2011م .

2- - مرجع نفسه .

3- دياب، مرجع سابق، ص242.

- **عيد الزيتونة:** ويعرف بعيد الشعانين، ومعناه التسبيح، ويكون في سابع أحد من صومهم، وسُنتهم في هذا العيد أنْ يُخرجوا سعف النخل من الكنيسة، ويرون أنَّه يوم ركوب المسيح العنو، وهو الحمار في القدس، ودخله إلى صهيون، وهو راكب، والناس بين يديه يسبحون، وهو يأمر بالمعروف، ويحث على عمل الخير، وينهى عن المنكر ويباعد عنه، وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم.

- **عيد الفصح:** وهو العيد الكبير، ويزعمون أنَّ المسيح عليه السلام لمّا تمالأ اليهود عليه، واجتمعوا على تضليله وقتله، وقبضوا عليه، وأحضروه إلى خشبة ليصلب عليها، فصلب على خشبة عليها لصان، وعندنا كمسلمين أوحي إلينا أنّ الله تعالى رفعه، ولم يُصلب، ولم يُقتل وأنَّ الذي صُلب على الخشبة مع اللصين غيرُ المسيح . ألقى الله عليه شبه المسيح.

- **عيد خميس الأربعين:** ويعرف عند أهل الشام (بالمسلاق)، ويقال أيضًا (عيص الصعود)، وهو الثاني والأربعون من الفطر، ويزعمون أنَّ المسيح عليه السلام بعد أربعين يومًا من قيامته خرج الى بيت عنيا»[1]، والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم، وصعد الى السماء؛ وذلك عند إكماله ثلاثًا وثلاثين سنة، وثلاثة أشهر . فرجع التلامذة إلى أورشليم يعني بيت المقدس، وقَدْ وعدهم باشتهار أمرهم، وغير ذلك ممَّا هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح، ومَنْ أصدق مِنَ الله حديثًا»[2].

- عيد الخميس: وهو عيد العنصرة، ويعملونه بعد خمسين يومًا من يوم القيام، وزعموا أنَّ بعد عشرة أيَّام من الصعود وخمسين يومًا من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في عِلِّيَةِ صهيون؛ فتجلَّى لهم روح القدس في شبه السنة من نار فامتلأوا من روح القدس، ونكلموا بجميع الألسن، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة، فعاداهم اليهود وحبسهم، فنجَّاهم اللهُ منهم، وخرجوا من السجن فساروا في الأرض متفرقين، يدعون النَّاس إلى دين المسيح»[3].

1-- بيت عنيا او العازرية: قرية واقعة شرقي القدس على مسافة 5 كيلو واسمها اليوم العازرية نسبة الى لعاز .

2-- دياب، مرجع سابق، ص242.

3-- مرجع نفسه .

- **عيد الميلاد:** وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح، يوم الإثنين فيحيونه عشية ليلة الميلاد . وسُنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من (كيهك)»[1].

- **عيد الغطاس:** وهو اليوم الحادي عشر من شهر طوبة . وأصله عند النصارى أنّ يحيى بن زكريا - عليهما السلام - المعروف عندهم بيوحنا المعمداني، عمد المسيح، أي: غسله في بحيرة طبريا»[2]، وعندما خرج المسيح - عليه السلام - من الماء اتصل به روح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم، وينزلون فيه بأجمعهم، ولا يكون ذلك إلّا في شدة البرد، ويسمونه يوم الغطاس، وكان له بمصر موسم عظيم للغاية .

وهناك سبعة أعياد يسمونها أعيادًا صغارًا:

- **عيد الختان:** يعمل في سادس شهر بئونة، ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم، وهو الثامن من الميلاد، والقبط من دون النصارى تختن بخلاف غيرهم.

- **وعيد الأربعين:** وهو عندهم دخول المسيح الهيكل، ويعتقدون أنَّ سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمِّه وبارك عليه . ويعمل به في ثامن شهر امشير»[3].

- **خميس العهد:** ويعمل به قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أنْ يُمْلَأ إناء من الماء ويزمزمون عليه، ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى . ويزعمون أنَّ المسيح فعل هذا بتلاميذه في مثل هذا اليوم؛ كي يعلمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد ألَّا يتفرقوا، وأَنْ يتواضع بعضهم لبعض . وعوام أهل مصر في وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أنَّ النصارى تطبخ فيه العدس المصفى. ويقول أهل الشام: خميس الأرز، وخميس البَيض، ويقول أهل الأندلس: خميس إبريل، وإبريل اسم شهر من شهورهم .

1- الموافق 7 يناير من كل عام ، وهو عيد الميلاد عن الأقباط.

2- بحيرة طبرية في فلسطين يجتازها نهر الأردن وهي نحو عشرة أميال في ستة أميال كالبركة تحيط بها جبال وتصب فيها أنهار كثيرة ومدينة طبرية مشرفة عليها .

3-دياب، مرجع سابق،ص242 .

- **سبت النور:** وهو قبل الفصح بيوم، يزعمون أنَّ النُّور يظهر على قبر المسيح في هذا اليوم، بكنيسة القيامة من القدس فتشعل مصابيح هذه الكنيسة كلها حسب الرؤية المسيحية، وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم خميس العدس ومن توابعه .

- **واحد الحدود:** وهو بعد الفصح بثمانية أيام، فيعمل أول أحد بعد الفطر، لأنَّ الآحاد قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجددون الآلات، والأثاث، واللباس، ويأخذون في المعاملات، والأمور الدنيوية والمعاشية»[1].

- **عيد التجلي:** يعمل في ثالث عشر شهر مسرى، يزعمون أنَّ المسيح تجلى لتلاميذه بعدما رفع وتمنوا عليه أنَّ يحضر لهم وموسى - عليهما السلام - إيلياء»[2]، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم.

- **عيد الصليب:** ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت، وهو من الأعياد المحدثة؛ وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة أم قسطنطين .

- **يوم النيروز[3]:** وأيضا لديهم مواسم أخرى، ليست هي عندهم من الأعياد الشرعية؛ لكنها عندهم من المواسم العادية، ومنها يوم النوروز، وهو أول السنة القبطية، وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه إشعال النيران، والتراشق بالماء، وكان من مواسم لهو المصريين قديمًا وحديثًا»[4].

الاحتفالات القبطية في القدس لا تبتعد عن مجمل ما ذكر، وقد حرصت أنْ أسرد الأعياد القبطية المسيحية؛ لارتباطها الوطيد ببيت المقدس .

فيحتفل الأقباط برأس السنة القبطية في 11 أيلول، وهو عيد الفيضان الذي يحي أرض مصر، وهو أول أيام السنة حسب المعتقدات القديمة، واستمر المصريون القدامى يحيون هذا العيد حتى عهد الإمبراطور الروماني دقلديانوس الذي تولى الحكم

1- مرجع نفسه .

2- ايلياء: يريد به الياء النبي (875 ـ 853 ق.م) من أنبياء بني إسرائيل حارب عبادة الأوثان

3- النيروز: معناه اليوم الجديد وهو عيد من أعياد القبط والتسمية فارسية كما يقول علمانيهم.

4- دياب، مرجع سابق، ص242 .

سنه 284 للميلاد، وفي عهده ذاق الأقباط العذاب، وذَبَحَ منهم أعداداً كبيرة، ولم يكن لهم ذنب سوى أنهم رفضوا عباده الأوثان وارتضوا عباده الله الواحد، وهنا فكر الأقباط بأنْ يجعلوا رأس السنة الزراعية رأساً لتقويم جديد أسموه (تقويم الشهداء)، حيث استبدلوا ذكرى فيضان النيل بذكرى (فيضان دماء الشهداء)، كما لهم عيد شم النسيم، والذي أصبح عيد قومي في مصر»[1].

ومن أشهر المأكولات القبطية في هذه الأعياد ما هو المتداول حتى اليوم الجوافة، والتمر، كتقليد قديم في رأس السنة القبطية، أما في شم النسيم يأكلون الأسماك المملحة والبيض الذي يلون بألوان الربيع . ومن المأكولات المشهورة أيضا والمتوارثة الفول المدمس، والكشري المتكون من العدس، والأرز، والشعرية، وأشهر ما يشربون الشاي الثقيل.

ويذكر أنَّ شهور الأقباط تأتي بالتوالي:

(توت،ـ بابه، هتور، كيهك، طوبة، امشير، برمهات، برمودة، بشنس، بئونة، ابيب، مسرى) .

فهذه اثنا عشر شهرًا، كل شهر منها عدده ثلاثون يومًا، إذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر فزادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت .

1- دياب، مرجع سابق، ص242.

2ـ العلاقات القبطية الفلسطينية:

وهي امتداد لعلاقة المصريين الفراعنة بالكنعانيين والتي شهدت تطورًا كبيرًا، وهذا ما دلت عليه المكتشفات الأثرية في فلسطين من علاقة قوية بين كنعان والفراعنة، ومما أكد تكاملية العلاقة اكتشاف هام لنقوش تل العمارنة في مصر1400 ق م، وفي الكرنك وجد أسماء 119 مدينة كنعانية التي احتلها تحوتميس (طتميس)، فرعون مصر حين غزا فلسطين، في حين أنَّ اسم حارو هو الاسم الذي أطلقه المصريون على أرض كنعان»[1] . وأيضا دلت المكتشفات أنَّ العلاقات بين الكنعانيين والفراعنة ترجع إلى أوائل الألف الثالث ق.م بدأت تجارية، ثم تعززت حتى شملت عدة أسر مصرية، فالمقتنيات الأثرية المصرية التي وجدت في فلسطين خلال الدولة الوسطى كثيرة، شملت التماثيل والأختام المصرية في مجدو، وتل عجول، جنوب غزة، ولم تتوافر النصوص التي تعلل وجود المصريين، وآثارهم في فلسطين أيام الأسرة الثانية عشرة؛ ولهذا تضاربت آراء المؤرخين فأرجع بعضهم ذلك الوجود إلى الاستعمار السياسي، في حين أرجعها آخرون نتيجة للعلاقات الدبلوماسية والتجارية .

فيما يُعتقد أنَّ الجزء الجنوبي من فلسطين كان تحت الحكم الفرعوني، أو التبعية وذلك للصلات التجارية المهمّة، والعلاقات الكبيرة بينهم، وقد سمَّى المصريون الطريق الموصل إلى فلسطين طريق حورس، وكان يبدأ عند (سيل) على حدود قرية تل أبو صفي بالقرب من القنطرة، ويعبر الصحراء مارّاً بمستنقعات الملح إلى العريش، وغزة، في رحلة خطرة وشاقة .

وكانت غزة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة المقر الرئيس للجيش المصري المحتل، لفلسطين ولما هاجم طتميس الثالث (تحتمس) 1501 - 1447 ق.م بلاد الشام اتخذ غزة مركز قاعدة الهجوم»[2].

1- -حسين عمر حمادة، آثار فلسطين، دمشق، ط1، 1983م، ص 23

2- - عبد الحميد أبو النصر، غزة ...آثار وصور، غزة، ط1 ،2011م ، ص19 .

وبعد وقت من الزمن تطورت العلاقة خاصة باعتناق أقباط مصر المسيحية؛ فارتبطت ارتباطًا قويًا بالأراضي المقدسة، والتي شهدت منشأ المسيح - عليه السلام -، وأصبحت مقصد الحجاج المسيحيين للمقدسات على رأسها كنيسة القيامة، التي بنتها الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الأول عام 325م، وشارك في تدشينها بطاركة الإسكندرية وأنطاكيا والقسطنطينية . وتوافد المسيحيون من أنحاء العالم كافَّة إلى القدس، ومن بينهم الأقباط، واستمر ذلك لقرون حتى الفتح الإسلامي»[1]، والذي أعطى الأمان للطوائف المسيحية عليهم وعلى ممتلكاتهم خلال تسليم صفرونيوس مفاتيح بيت المقدس للمسلمين، فأصدر عمر بن الخطاب العهدة العمرية، والتي أكدت حق وجود المسيحية في القدس بما فيهم الأقباط.

1-- انتوني عبد السيد ، مشكلة دير السلطان بالقدس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1991م، ص 9 .

3 ـ استقرار الأقباط في فلسطين:

ذكـر أحـد بطاركـة القـدس أنَّ الوجـود القبطـي يرجـع إلى ألفـي عـام»1، وترجـع معظـم الدراسـات نشـأة الوجـود القبطـي في القـدس إلى الزيـارة للأماكـن المقدسـة في المدينـة، منـذ اكتشـاف الإمبراطـورة هيلانـة للصليـب المجيـد في عـام 325م وتأسيسـها لكنيسـة القيامـة باشـتراك البطريـرك القبطـي أثناسـيوس في عمليـة تدشـين الكنيسـة مـع بطريـركي أنطاكيـة والقسـطنطينية. ومـن دلالات هـذا الوجـود قصة القديسـة مريـم المصرية الـتي حـضرت إلى القـدس في عـام 382م، حيـث اسـتقرت هنـاك وذاع صيتهـا، حـتى أنّـه بعـد وفاتهـا تـمّ تشـييد كنيسـة عـلى اسـمها مجـاورة لكنيسـة القيامـة»2.

واسـتمرَّ وجـود الأقبـاط في القـدس مـع الفتـح الإسـلامي لـه، فقـد نـصّ كتـاب العهـدة العمريـة عـلى ذكـر الوجـود القبطـي في القـدس ضمـن عهـد الأمـان للطوائـف المسـيحية كافَّة في المدينـة المقدسـة ممـا أدّى إلى اسـتمرار بنـاء الكنائـس والأديـرة القبطيـة فيهـا بعـد ذلـك، ففـي القـرن التاسـع الميـلادي تـمّ إنشـاء كنيسـة قـب طيـة عرفـت بكنيسـة المجدلانيـة، فيمـا يُعـدّ بنـاء ديـر السـلطان أشـهر مظاهـر هـذا الوجـود الـذي جـاء بعـد اسـتقرار بعضهـم في الأراضي المقدسـة؛ تقرُّبًـا مـن السـيد المسـيح - عليـه السـلام - وأقامـوا الأديـرة واتخذوهـا إقامـة دائمـة وفـق الشـعائر والطقـوس القبطيـة، والـتي تقـضي الحيـاة ضمـن هـذه الأديـرة الـتي أنشـأوها، ورعايـة الكنيسـة بمـا فيهـا، وقـد يـأتي ذلـك ضمـن التبشـير القبطـي في أنحـاء مختلفـة مـن العالـم إلا أَّن الحالـة في القـدس قـد تختلـف بمـا تمثلـه المدينـة مـن قدسـية للمسـيحيين؛ فجعـل الأقبـاط مثلهـا مثـل بـاقي الطوائـف لهـا أنظـار عـلى المدينـة المقدسـة والحـج الدائـم للمدينـة وكتمثيـل مهـم ويربـط الأقبـاط بهـذه المدينـة، حيـث يُسَـمَّى مـن يقـوم بالحـج إلى القـدس (بالمقـدس). حيـث كانـوا يخرجـون عـادة إلى الأراضي المقدسـة في شـكل قافلـة تتحـرك مـن المطريـة في ضواحـي القاهـرة، وتتجـه شرقـاً

1- - أبو غزالة، مرجع سابق، ص 26 .

2-- محمد عفيفي، الوجود القبطي في القدس حتى القرن العشرين، أبحاث الندوة السادسة (هوية القدس العربية والإسلامية عمان)2 - 5 تشرين أول،1995م.

إلى الخانقاه السرياقوسية؛ لتأخذ الدرب السلطاني عبر سيناء إلى العريش، وغزة، ثمَّ الرَّملة، وأخيراً إلى القدس. وبالإضافة إلى المؤونة والزاد التي يتمُّ إرسالها بصحبة قافلة الحج القبطي، كان يرسل أيضًا مؤونة أخرى إضافية عن طريق البحر تنقل من القاهرة إلى ميناء دمياط، ومن هناك إلى يافا بحرًا، ثمّ إلى القدس، خاصَّة في بعض الأحيان عند انقطاع الدرب السلطاني نتيجة تمرد العربان وقطعهم للطريق . وفي القرن العشرين كان خط السكك الحديدية إلى القدس هو الطريق المفضل لمعظم الأقباط . وتذكر المصادر التاريخية بعض الإشارات القليلة حول وجود نشاط تجاري بصحبة قافلة الحج القبطي إلى القدس، يشابه قافلة حج المسلمين المصرين إلى الحرمين الشريفين، حيث ارتبط به العديد من مظاهر النشاط الاقتصادي سواء على الطريق أو في المدن المقدسة ذاتها .

لكن حاليًا ومع ظروف الاحتلال اختلفت طريق الحج مع حالة الحصار والإغلاقات الدائمة التي تفرضها إسرائيل، وسيطرتها على طرق الحج، فغالبًا أصبح عبر الأردن ثم جسر اللِّنبي»[1]، فأريحا باتجاه القدس أو عبر مطار بن غريون لحاملي الجوازات الأجنبية، وتوقف الحج من مصر إلى فلسطين بعد قرار البابا شنودة بمنع السفر إلى القدس؛ طالما هي محتلة ـ وسنأتي على ذكر ذلك لاحقًا ـ

وقد شمل الوجود القبطي الشام بأكمله إلَّا أنَّ التحول في هذا الوجود هو ما تمَّ في عصر البابا كيرلس الثالث في النصف الأول من القرن الثالث عشر، تحت رعاية بطريرك أنطاكية. حيث أنشأ البابا كيرلس الثالث أول مرة مطرانية قبطية للقدس والشام، ورسم لها أحد الأساقفة الأقباط، وربما دفعه إلى ذلك التنافس بين كرسي أنطاكية والإسكندرية، فضلاً عن هجرة بعض الأقباط من مصر، واستقرارهم في القدس وبعض المدن الشامية، وحاجة هؤلاء إلى راع قبطي لهم. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن أصبح لمطرانية القدس مركز مهم في الأكليروس القبطي .

1- جسر اللنبي: يربط الضفة الغربية بالأردن عابرا النهر وهو تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي ، وقد سمي بذلك نسبة الى الجنرال البريطاني اللنبي .

الفصل الثاني

الثقافة والعمارة والقوانين القبطية

1 ـ قوانين الكنيسة:

قد برع الأقباط في وضع قوانين كنسية، ولعلَّ أشهر هذه القوانين وأعمقها أثرًا المجموعة المعروفة بالقوانين الكنسية أو قوانين الرسل وقد نشرها هورنور.

العلوم اللّاهوتية:

أجمع مؤرخو الكنيسة في العصور الرسولية مثل أوسابيوس وسقراط وسوزومين على أنّ الفضل في انتشار المسيحية إنما يرجع إلى مدرسة الإسكندرية اللّاهوتية القبطية، والتي أسندت إدارتها إلى علماء من الأقباط مثلبانتينوس واكليمنضوس الإسكندري واوريجانوس وديديموس الضرير .ونصّت تواريخ الكنيسة على أنْ كبار آباء الكنيسة المسيحية في الشرق والغرب كالقديس باسيليوس الكبير وغريغوريوس أخيه الناطق باللاهوتيات، مدينون لمدرسة الإسكندرية القبطية. وقال البروفيسير تتام في مؤلفه مصر بأنّ دستور مدرسة الإسكندرية اللاهوتي وضع باللغة القبطية، وقال جيروم في مقدمة ترجمته اللاتينية لكتاب انبثاق الروح القدس للعالم القبطي ديديموس الضرير أنَّ ما جاء في مؤلفات اوغطينوس وأمبروسيوس وغيرهما من الموضوعات منقول عن الفلسفة المسيحية المصرية.

وبالتالي كان للأقباط اليد الطولى في وضع أسس علم اللاهوت، فقام بانتينوس أول من أسندت إليه إدارة مدرسة الإسكندرية بترجمة الكتاب المقدس من اليونانية الى القبطية، وهذا أوريجانوس أول من أقام علم اللاهوت على أسس منظمة وإليه يرجع الفضل في تثبيت عقائد الكنيسة، والذي اهتمَّ كثيرًا بإدخال علم الفلسفة في مدرسة الإسكندرية وقد أدخل برنامج الدراسة اللاهوتية الرياضة والطبيعة والفلك والفلسفة والموسيقي . ونجد أيضًا اثناسيوس القديس القبطي الصميم قد تثقف بثقافة اليونان ووقف في وجه جميع الأباطرة والهراطقة وصار لا يفكر ولا يكتب ولا يعمل ولا يناضل إلا من أجل حماية المسيحيين من مخالب البدع، وفتح باب الإيمان المسيحي القويم

لهم، حيث كان لِمَا كتبه القديس اثناسيوس في محاربة الآريوسية وغيرها من البدع، وأيضًا تَجَسُّد الكلمة في كتبه أثرٌ كبير جدًّا في المحافظة على كيان المسيحية في العالم. فضلًا عن القديس كيرلس الكبير الذي كان بطريركًا للكرسي المرقسي، واكتسب لمصر شبه استقلال، كانت تخضع له مائة أسقفية حتى أطلق عليه لقب فرعون مصر، وكان جهاده ضد النسطورية وتعاليمه اللاهوتية في طبيعة المسيح وسر الثالوث عاملًا كبير الأثر في إرساء تعاليم الكنيسة الأولى الرسولية .

وأيضًا العالم القبطي ديديموس الضرير الذي عين مديرًا للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية في القرن الرابع، وكان من أثر مؤلفاته اللاهوتية أنْ وفد عليه من الغرب ايرونيموس وروفينوس وبلاديوس لتلقي العلم منه، والعالم القبطي ديديموس الضرير هو أول من ابتكر وسيلة لتعليم القراءة للعميان بطريقة الحروف المحفورة علي ألواح خشبية ليسبق بخمسة عشر قرن من الزمان اختراع برايل لطريقة القراءة بالحروف البارزة.

2 ـ الكتابة وأدواتها:

الأدب الكنسي:

كذلك يُعزى للقبط كتابة الأدب المعروف بالمريمي، وهو الأدب الذي اختصت به العذراء مريم >وذلك في أسلوب فريد يظهر فيه تأثير الأدب المصري القديم؛ فكتبوا فيها المدائح والأناشيد.

فقد كان للقبط شخصية ملحوظة فيما كتبوه من تاريخ، فكتاب يوحنا النقيوسي الذي شهد بدخول العرب الى مصر، وكتب تاريخًا عامًا باللغة القبطية، ولم يصل من هذا الكتاب إلا ترجمة كاملة له باللغة الحبشية نشرها العالم الألماني زوتنبرج وقد أكَّد الأب أنطونيوس الأورشليمي، سكرتير بطريركية الأقباط الأرثوذكس في القدس أنّ الأقباط مازالوا يستعملون اللغة، والكتابة من الحروف الفرعونية المصورة الأبجدية، وحتى اليوم تدرس لهم وتستخدم في الصلوات والكنائس. وبعد وفاة الإسكندر الأكبر وسيطرة البطالمة على مصر أصبحت اللغة اليونانية هي الرسمية بجانب القبطية وأثرت هذه الثقافة في المصريين خلال ألف عام متواصلة، وبعد دخول العرب مصر انتهى استعمال اللغة اليونانية في المعاملات الرسمية، وفي عام 685م مُنع استخدام اليونانية في المحاكم، ولكنها بقيت لغة المسيحيين والأدب الديني ، لذلك كان مهما بالنسبة للأقباط أن يستمروا في فهم اليونانية حتى يترجموها إلى القبطية»[1].

والشعب القبطي كما بَيَّنَتْ آلاف المخطوطات والكنائس والأديرة تعاملهم بإيجابية مع أمور الدنيا، واضعين عينهم على الأبجدية، وقدَّموا للعالم العلم والفن والأدب والهندسة، إضافة آلاف من القديسيين والشهداء وآباء الكنيسة الكبيرة . أما من الناحية العلمية والاهتمام بالتعليم فأوضح الأب أنطونيوس أنَّ الأقباط هم مِنْ أوائل مَنْ

1- هلجا ديل وآخرون، عالم الأقباط، النمسا، ابراشية، النمسا، ط1، 2004م، ص 30 .

أسسوا المدارس بالمدينة المقدسة، وحتى هذه الأيام هناك بعثات تعليمية للقدس بدعم من الحكومة المصرية، وهناك مدرستان وكلية، حيث لا تقتصر على تعليم أبناء الجالية بل الجميع، وتعلم أبناء الجالية القبطية في المدارس اللغات العربية، والفرنسية، والانجليزية، والعبرية، إضافة إلى القبطية وهناك مدرستان، وكلية تعلم أبناء المدينة كافّة.

ويوجد آلاف من الآثار والمخطوطات والاستراكون تتعلق بالكتابة والتعليم في العصر القبطي اليوناني، والقبطي العربي والتي تمَّ العثور عليها مع مجموعة أخرى مبعثرة في أنحاء العالم بين المتاحف والمكتبات، ممَّا يدُلُّ على أنَّ الشعب القبطي كان يُقَدِّرُ قيمة القراءة والكتابة، وبأكثرَ مِنْ لغة، تمثلت في قبطية يونانية، ثم قبطية يونانية عربية»[1]، وما يؤكِّدُ ذلك بعض المخطوطات الموجودة في كنائس فلسطين (القدس، بيت لحم)، وخاصَّة الأرثوذكسية منها، والتي تحتوي على نوع الكتابة القبطية اليونانية العربية، وخاصّة في الكتب الدينية .

وقد استعملوا في الكتابة ورق نبات من لب سيقان نبات البردي المتوارث عن المصريين القدماء منذ عام3000 ق.م، إلى عام 1000 بعد الميلاد، وهذا ما تبينه المخطوطات القبطية، ثم استعملوا الرق وهو أكثر مرونة وعملية من ورق البردي المستخلص من جلد الحيوانات لكن تكلفته عالية، واستعملت أيضًا الاوستراكا»[2]، وقطع من الحجر الجيري والصوان .

الورق:

هي وسيلة للكتابة عليها تعلمها الشرق في نهاية القرن الثامن الميلادي من الصينيين، فيما عرف صناعته الغرب ابتداءً من القرن الثاني عشر من بقايا الملابس القديمة . كما استعمل لوح الخشب في كتابة النصوص المستديمة، ومنها وجدت لوحات الصلوات القبطية، ولوح أسماء المومياوات التي يكتب عليها اسم المتوفى المحنط مع وضعه في تابو ت . واستعمل لوح الشمع»[3]، وبقلم من الخشب أو المعدن، يتمُّ الكتابة عليه من جديد، وغالبًا كان يستخدم في المدارس. وقد استعمل الأقباط القلم (القلموس) المصنوع من الغاب في الكتابة على البردى، والأوراق، وعلى الفخار، والحجر الجيري

1- مرجع نفسه، ص 28 .

2- الاوستراكا: لفظ يطلق على قطع او شقف الفخار.

3- لوح الشمع: لوح خشبي ذات عمق يصب فيه طبقة من الشمع ثم يسوى سطحه .

وحجـر الصـوان، أمَّـا لـوح الشـمع فقـد اِسـتُخدم في الكتابـة عليـه قلـم الاسـتلوس»[1].

أمَّا الأحبار

الـتي اسـتعملها الأقبـاط فهـي: الهبـاب، والصمـغ العـربي، والمـاء بشـكل جيـد إلَّا أنَّـه خفيـف، أمَّـا في القـرن الثالـث ميـلادي اسـتخدم الأقبـاط حـبرًا بـنيَّ اللـون مصنـوع مـن مـادة كيميائيـة سـهلة الذوبـان في المـاء، تُدعـى جاولـوس بازيـس، كمـا اسْـتُخدم نـوعٌ مـن الحـبر يسـمى الفيتريـول .

1- الاستيلوس: قلم مصنوع من مادة قاسية.

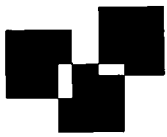

3 ـ الأسماء القبطية:

عدَّ بعض الكُتاب أنَّ الحفاظ على الاسم القبطي المصري هو حفاظ على الشخصية القبطية المصرية، ويقول السيد محرم كمال في كتاب (آثار حضارة الفراعنة) عن حياتنا الحالية بما يخص موضوع الأسماء: أنَّنا نحمل أسماء قديمة جدًّا توارثناها عن أجدادنا منذ آلاف السنين، وذكر مثلًا اسم يانوب هو اسم قبطي ومصري قديم، فجمع حروفه هيروغليفية قبطية ومعناه عبد الإله أنوبيس، وكذلك باهور معناه عبد الإله حور، أمَّا بخيت فهو الاسم المعرب من اسم بيشوي، وهذه الأسماء لم تكن بالضرورة في يوم من الأيام أسماء قديسين أو رهبان أو شهداء؛ لأنَّ الشعب القبطي لم يكن فقط فئة واحدة، بل الأسماء السابقة حملها أناس عاديون جدًّا عاشوا حياة في عمقها لا تختلف عن حياتنا اليوم من لحظات فرح وحزن فهم كانوا فلاحين وفلاحات في مزرعة وكانوا كتبة في المصالح الحكومية، وشماسا* ، وحدادين، وفلاسفة، ونساجين، ورسامين، ومتوحدين*، ومدرسين، وتلاميذ، وعاطلين عن العمل، و فرسانًا، وجنودًا، وخارجين عن القانون»[1]، أيْ: أنَّهم مجتمع متكامل .

*شماسا: وهو منصب مهم في الكنيسة

* متوحدين: نشأت في القرن الثالث على يد القديس بولس نظام النسّاك المتوحدين الذين كانوا يعتزلون في مغارات في الصحراء الشرقية بمصر نتيجة لنزعة ترجع إلى عصور القدم .

1- ديل، مرجع سابق، ص 14

4 ـ العمارة القبطية ومعالمها:

ويشتهر الأقباط بالبناء وعمارة المعابد الكبيرة، كأسلافهم الفراعنة، حيث ذكر الأب أنطونيوس أنَّ ذلك كان سبباً في استعانة الملكة هيلانة بهم للمساعدة في بناء كنيسة القيامة، والبطريركية القبطية التي تقع بمحاذاتها.

ويقول أنَّ للأقباط أملاكًا عديدة، مثل: سوق الأقباط الذي يمتد من باب الخليل حتى كنيسة القيامة، وحي الأقباط الذي يمتد من كنيسة القيامة حتى سوق خان الزيت، وهو خاص بسكن العائلات القبطية والمدرسين، ويوجد بالحي بطريركية الأقباط الأرثوذكس، ومدرسة، وكنيسة، ودير»[1]، إضافة إلى أديرة كثيرة في أريحا، أمّا في غزّة فقد وجدت أرضيات بيزنطية تحتوي على الطراز القبطي»[2]، من كتابات ورسومات وذكر أنَّه بني فيها كنيسة العذراء القبطية . كما أنّ للأقباط في المدينة المقدسة مكتبة، يوجد بها مقتنيات مختلفة وكتب ووثائق خاصّة بهم، ومما سبق نؤكد أنَّ الحروب أثرت على ثروتهم ونفوذهم الكبيرين في المدينة؛ حيث حفلت الوثائق القبطية بالعديد من حجج الأوقاف المرصودة على القدس ويرجع ذلك إلى وجود العديد من الكنائس، والأديرة القبطية في المدينة، ونتيجة للوازع الديني، فضلاً عن الطبيعة الدينية والاجتماعية لنظام الوقف الذي لم يكن حكراً على الأماكن المقدسة في القدس من جانب أثرياء الأقباط، بل كانت معظم الأوقاف القبطية مرصدة من جانب الطبقة الوسطى القبطية، وقد وجدت العديد من الحجج التي تشتمل على وقف عمارات صغيرة، أو حتى جزء من عقارات، واختلفت أوضاع هذه الأوقاف فبعضها كان مرصداً

1- الدير: الدير القبطي عبارة عن مدينة صغيرة متكاملة في كل شيء ، محاط بسور وبوابة كبيرة ويسكنها الرهبان، والمتوحدين، وكانت من مهام الدير رعاية اهل المدينة والقرية روحيا . والدير بمفهومه الواسع خاصة في مصر توجد بداخله جميع الحرف بداخله ، والرهبان هم الحرفيون إضافة إلى رهبان متخصصون في الترجمة ونسخ وتجليد الكتب ، وآخرون يرسمون الأيقونات المقدسة بالزيت كي تصبح مصدر للبركة ، كما يشمل الدير أعمال الزراعة في حقول الحبوب من قمح ،وشعير، وخضروات ، وبساتين، وعنب ونخيل . وقد تملكت الأديرة اراض زراعية ، وحدائق فاكهة أكثر بكثير من عدد رهبانها، وهذه الأملاك كانت توهب من الناس وبسخاء كبير وكانت تؤجر هذه الأملاك للعامة .

2- أبو النصر، مرجع سابق، ص51.

على الواقف ثمَّ على النسل والذرية، على أنْ تؤول في حالة انقطاع الذرية إلى الأماكن المقدسة في القدس، وبعضها الآخر يتمُّ رصده على بعض الأديرة القبطية في مصر، وفي حالة تعذُّر صرف العائد على هذه الأديرة أو زوالها تؤول هذه الأوقاف إلى القدس، كما كان هناك بعض الأوقاف المرصدة مباشرة للقدس، وبصفة عامة كان معظم الأوقاف المرصدة توضع تحت إشراف البابا القبطي في القاهرة، وينوب عنه المطران القبطي في القدس. ولكن في حالات نادرة وقَّفَ بعض الأقباط أوقافاً على الحرم القدسي بصفة عامة دون تخصيص لدير أو كنيسة معينة، وفي هذه الحالة توضع هذه الأوقاف تحت إشراف (ناظر أوقاف الحرم القدسي) وهو من المسلمين . والجدير بالذكر أنَّ أشهر ما تمتلك الكنيسة القبطية من المؤسسات ذات الطابع المدني المدارس القبطية، حيث أقامت بطريركية الأقباط في القدس الكلية الأنطونية للبنين، وبعد ذلك كلية الشهيدة دميانة للبنات، وهما مدرستان يحصل فيهما الطالب على شهادة الدراسة الثانوية، والالتحاق بهما لا يقتصر فقط على أبناء الطائفة القبطية فحسب، بل فتحت أبوابها أمام الجميع بمن في ذلك المسلمون .

وقد حرصت الرابطة القبطية في القدس على إصدار العديد من النداءات والمطبوعات الإرشادية إلى جانب مجلة دورية تصدر باسمها، واهتمت بإنشاء بعض الملاجئ القبطية في القدس؛ لخدمة الأطفال الأيتام، وجمع المساهمات المادية والعينية لهم . فمن أهم النشرات التي كانت تصدر للأقباط في القدس، نشرة رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس في ثمانينات القرن الماضي، واتخذت الرابطة موقفاً حاسماً من مسألة القدس؛ إذ رفعت شعاراً (إنْ نَسِيْتُكِ يا أورشليم تنسني يميني) .

يعتبر ما سجله أبو المكارم في تاريخه عن الكنائس عام 1281م أول حصر دقيق للكنائس القبطية في القدس، حيث ذكر وجود هيكل قبطي داخل كنيسة القيامة، وكنيسة باسم المجدلانية، وكنيسة ثالثة هي التي دخلت في دير السلطان»[1]. ومن أهم المعالم القبطية حسب حصرها من المؤرخين تمثلت في:

1 - دير السلطان:

لقد شكَّل هذا الدير حالة جدل فرضت نفسها على كتابة تاريخ الأقباط في الأراضي المُقَدَّسَةِ لتعاقب الأحداث فيه، والأطماع المتكررة للاستيلاء عليه مما جعل الأنظار

1- العفيفي، مرجع سابق .

تتوجه له أكثر من ذي قبل، وخروج الأقباط عن صمتهم والمطالبة المباشرة بإرجاعه، حيث شكل نقطة تحول للوجود القبطي في القدس وصراع من أجل البقاء. ويعتبر هذا الدير الوحيد من بين الأديرة القبطية الذي يحمل اسماً غير قبطي، وهناك مشكلة تاريخية في نسبة هذا الدير إلى أيٍّ مِنْ السلاطين المسلمين، إذ يرجعه البعض إلى عصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أعطاه مكافأة لبعض موظفيه من الأقباط، ويرى البعض الآخر أنَّ سِرَّ هذه التسمية تعود إلى استضافة الدير لموظفي السلاطين الذين يعودون إلى القدس، بل ويرجع البعض تسميته دير السلطان إلى أحد السلاطين العثمانيين، وهو جلال الدين شاه، وإنْ كان هذا الرأي هو أضعف الآراء من حيث الدقة التاريخية»[1].

ويقع هذا الدير على السطح الملاصق لكنيسة القديسة هيلانة، وكنيسة الملاك، والممر الموصل من كنيسة هيلانة إلى سور كنيسة القيامة»[2]، وهو بذلك يقع داخل نطاق المنطقة المقدسة التي شهدت ختام السيد المسيح، وله أهمية خاصة عند الأقباط؛ لأنَّه طريقهم المباشر وحلقة الوصل بين دير مارانطونيوس حيث مقر البطريركية المصرية إلى كنيسة القيامة»[3]، وينقسم الدير إلى جزأين، الجزء الأول خاضع لقوانين (الاستاتس كيو) ويقصد به الحفاظ على الوضع القديم للدير، ويقع في الوسط تقريبًا؛ لأنَّه عبارة عن سطح مغارة الصليب، الذي هو جزء من كنيسة القيامة لذلك يخضع لقوانين الاستاتس كيو . والجزء الآخر خارج عن هذه القوانين ويقع في الجهة الشرقية، والقبلية، وكان به بعض المباني القديمة عبارة عن حجرات أقيم معظمها خارج الاستاتيس كيو وبعض آخر داخله»[4]، وللوصول من هذا الدير إلى كنيسة القيامة يجب الدخول من باب كنيسة الأربع حيوانات، ونزولاً منها إلى كنيسة الملاك، والخروج من بابها إلى ردهة كنيسة القيامة»[5].

في أواخر سنة 1889م قدم المطران المصري في القدس طلبا إلى مجلس مدينة القدس للسماح بتوسيع باب الدير الموجود بالحائط الشمالي له، وخاصَّة؛ لأن جزءًا من الحائط واقع غربي هذا باب الآيل للسقوط وقد سارع المطران المصري لإصلاحه»[6].

1-المرجع نفسه .

2- عبد السيد، مرجع سابق، ص 10

3- دمتري رزق، قصة الأقباط في الأرض المقدسة، القاهرة، ط1967،1م،ص115

4- عبد السيد، مرجع سابق، ص10

5- جرجس فليوثاؤس عوض، أملاك القبط في القدس الشريف، القاهرة، ط 1، 1924م، ج1، ص50 .

6-عبد السيد، مرجع سابق، ص 34

وبقى الدير في حوزة الأقباط حتى القرن السابع عشر، إلى أنْ استضافوا الأثيوبيين (الأحباش) بعد تخليهم عن أملاكهم بسبب الضرائب الكبيرة التي فرضت عليهم . وظلوا مقيمين مع الأقباط حتى عام 1820م»[1]، وبدأ الخلاف والتنافر في هذا العام بعد تطلب إخلاء الغرف الخاصة بالرهبان الأثيوبيين من أجل القيام بعمليات ترميم للمكان، فدَبَّ القلق في نفوس الأثيوبيين خوفًا من طرد الأقباط لهم، وعند عودتهم للدير - الأحباش - رجعوا بأعداد تفوق ما كانت عليه من قبل . وفي عام 1837م قضى الطاعون على الأثيوبيين تمامًا، وقامت السلطات العثمانية بتحريض الأرمن على حرق كتبهم وأوراقهم؛ خوفًا من انتقال وانتشار المرض»[2]. وبالرجوع إلى بداية الخلاف على الدير بين الأقباط والأحباش جاء بعد استيلاء الأرمن على ممتلكات الأحباش في القدس، فاستضافهم الأقباط في أديرتهم، ونظرًا لموقع دير السلطان المميز كان مطمعًا لاستيلاء الأحباش والتمسك به . كانت الأوضاع بين الأقباط والأحباش متقلبة بين التوتر والهدوء، إلى أنْ استقرت لمدة عشر سنوات منذ عام 1852م، حيث صدرت تعليمات إلى القنصل والأسقف الانجليزيين من لندن بعدم فرض الحماية السياسية على الأثيوبيين في القدس، وقد أدَّى ذلك إلى استقرار الأوضاع وزيادة الأمن والسلام ممَّا زاد عدد الحجاج والرهبان الأثيوبيين في الدير، فوصل عددهم إلى أكثر من 100 راهب .

وفي نوفمبر 1863م صدر أمر من الخارجية العثمانية مُوقعًا من الصدر الأعظم إلى متصرف القدس باعتماد وتجديد مفاتيح الدير والكنيسة الملحقة به وتسليمها للأقباط، وتسارعت الأحداث وظلت محاولات الأحباش مستمرة؛ حيث خاطبوا إمبراطورهم منليك الثاني سنة 1895م، وادَّعوا طرد الأقباط لهم من الدير؛ فلجأ الإمبراطور إلى روسيا التي تبنَّت الموقف، وأوفدت السفير الروسي مع مندوب أثيوبيا إلى الصدر الأعظم؛ لتنجح الوساطة بطلب الأخير من متصرف القدس إعادة التحقيق وإيفاده بالنتيجة فكان الرد أنَّ ملكية الدير للأقباط بموجب الوثائق والحجج، واستمرت المحاولات الأثيوبية، فأوفدوا الأنبا متاوس مطران أثيوبيا المصري عام 1902م؛ لمنحه لقب المطران والتفاوض بشأن دير السلطان وإعطائه للأثيوبيين، وقد ذُكر في هذا الموضوع أنَّ تمسك الأثيوبيين بالدير رغبة الإمبراطور طايطو في السكنى به متى انتهت حياة منليك ونزلت عن عرشها . وكان للإمبراطورة في سنة 1889م تطلعات بالقدس، إذ طلبت من رأس ماكونين أنْ يشتري لها بعض الأراضي خارج سور مدينة القدس القديمة؛ اعتقادًا أنَّ

1- مرجع نفسه، ص12 .

2- عبد السيد، المرجع نفسه، ص 10

هـذا المكان قـد يكـون مـكان الصلـب وذلـك لبنـاء كنيسـة عـلى هـذه الأرض، وتـمَّ بناؤهـا في سـنة 1901م»[1]. وقـد توجـه وفـد مـن مطارنـة الكنيسـة المصريـة إلى القـدس وتقابلـوا مـع الوفـد الايطـالي الـذي تأكـد مـن ملكيـة الأقبـاط، ووقعـت الوفـود الـتي كان مـن بينهـم الأنبـا متـاوس عـلى إفـادة بملكيـة الأقبـاط للديـر، وهكـذا تأكـدت حقـوق ملكيـة الكنيسـة للأقبـاط بشـكل قاطـع لا يقبـل الطعـن بـأي حـال مـن الأحـوال»[2]، ومـن ضمنهـا ديـر السـلطان، حـتى اسـتولى عليـه الرهبـان الأحبـاش في 25 إبريـل 1970م، وطـرد الرهبـان الأقبـاط -المصريـين- بمعاونـة وتواطـؤ مـن الأمـن الإسرائيـلي، ومازالـت المطالبـات باسـترداد الأقبـاط للديـر، ومـن بـين مـا تسـتند إليـه أنَّ الاسـتيلاء عـلى الديـر يعـد مخالفًـا للفرمـان العثمـاني الصـادر مـن السـلطان عبـد الحميـد .

2 - دير مارانطونيوس:

يقـع شـمال شرقي القيامـة، وهـو مـن ممتلـكات الأرثوذكـس بالقـدس، وترجـع أهميتـه إلى أنـه صـار مقـرًّاً للمطرانيـة القبطيـة منـذ عـام 1912م، ويقـع هـذا الديـر إلى الشـمال مـن كنيسـة القديسـة هيلانـة، وقـد أجريـت بـه إصلاحـات عديـدة أهمهـا تلـك الـتي جـرت في عـام 1875م، عندمـا أضيفـت إليـه مبـان جديـدة، ثـم عُمّـر الديـر مـرة أخـرى سـنة 1907م، وجُـدِّدَتْ أيضـاً كنيسـته وأساسـاته القديمـة، ويبـدو أنَّ الديـر قـد شُـيِّدَ عـلى أسـاس كنيسـة بيزنطيـة قديمـة إذ يشـير بعـض الرحالـة الذيـن وفـدوا عـلى الديـر أنَّ بـه مسـتودع ميـاه باسـم القديسـة هيلانـة، وهـو داخـل الكنيسـة القبطيـة في الـدور الأرضي مـن الديـر، وللمسـتودع سـلم دائـري للهبـوط عليـه وهـو مكـوَّن مِـنْ (51) درجـة، وقـد شُـيِّدَتْ كنيسـة القديـس أنطونيـوس وتقـع لصـق الجـدار الشـمالي لكنيسـة القيامـة، وأمامهـا فنـاء واسـع مكشـوف يقـع عـلى سـطح الجـدار الشـمالي لكنيسـة القيامـة، وأمامهـا فنـاء واسـع يقـع عـلى سـطح الـدور الأرضي وفي الجهتـين الجنوبيـة والشرقيـة مـن الفنـاء تقـع مسـاكن الرهبـان الأقبـاط ، ومقـر رئاسـة الديـر ، والكليـة الأنطونيـة وقـد قـام المطـران باسـيليوس بإصـلاح هيـكل هـذه الكنيسـة، وشـيد لهـا منـبرًاً جديـدًاً، وفي الطابـق الثالـث توجـد كنيسـة أخـرى أنشـأها المطـران الأنبـا ياكوبـوس في عـام 1954م، تـذكاراً لظهـور العـذراء في هـذه الغرفـة لبعـض طالبـات مدرسـة القديسـة دميانـة في صيـف هـذا العـام، ويقـع مقـر المطـران القبطـي في الطابـق الرابـع، وبـه مكتبـة فخمـة بالإضافـة إلى نـزول للضيـوف، والحجـاج»[3].

1- عبد السيد، مرجع سابق، ص 39

2- المرجع نفسه، ص30

3- مؤسسة القدس الدولية. : http://www.alquds-online.org/index.php?s=13&id=729

3 - دير مارجرجس:

يقع هذا الدير في حارة الموارنه على مقربة من باب الخليل، وقد شيد في العصر العثماني القرن (11هـ/17م)، وألحقت به مدرسة تعرف باسم القديسة دميانة، وبالدير كنيسة بها هيكل واحد يقام فيه قداس يوم الاحتفال بعيد الشهيد مارجرجس (7 أكتوبر)، وذلك مقابل إقامة الأقباط قداساً ليلة عيد الميلاد وصباحه على مذبح الأرمن بكنيسة المهد الأرمنية في بيت لحم .

4 - كنيسة السيدة العذراء بجبل الزيتون:

وسُمِّيَ بذلك نسبة إلى السيدة مريم ويقع بمحاذاة البلدة القديمة .

5 - هيكل على جبل الزيتون:

وهو قريب من كنيسة العذراء السابق ذكرها .

6 – كنيسة ماريوحنا:

وهي تقع خارج كنيسة القيامة بين سوقية علوان، والطريق الذي يوصل لحارة النصارى، ويرى الزائر لهذا الدير كنيسة تحت الأرض، ويرجع تاريخها إلى عام 450م، والأخرى فوق الأرض، وهي أحدث عهداً، وقد شُيِّدَتْ عام 1048م، خلال العصر الفاطمي، وتُعَدُّ من منشآت طائفة الروم الأرثوذكس .

7 - كنيسة صغيرة باسم الملاك ميخائيل:

ملاصقة للقبر المقدس من الغرب، وهي من الكنائس التي أمرت الإمبراطورة هيلانة أسقف القدس بتشييدها في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، وينحدر الطريق نحوها في جنوب غرب قمة الجليل، ويذكر التقليد أنَّ الملاك جبرائيل ظهر للعذراء هناك عندما كانت ذاهبة لتصلي في جبل الزيتون، فبشرها بأنّها ستغادر الحياة الدنيا بعد ثلاثة أيام»1.

8 ـ كنيسة الأربع حيوانات:

وتقع داخل دير السلطان .

١- – مؤسسة القدس الدولية، مرجع سابق .

9. كنيسة المجدلانية:

أنشأها النبراوى مقارة ككنيسة مصرية، وكان ذلك في عهد البابا القبطي الأنبا يعقوب البطريرك رقم50 وذلك سنة (809 - 829 م) وقد سجل أحداث بناء هذه الكنيسة المؤرخ الشهير ساويرس ابن المقفع، وأبو المكارم، وغيرهم. وكذلك جاءت في كتاب أملاك القبط في القدس الشريف للعلامة جرجس فيلوثاؤس عوض .

وأستطيع التأكيد أنَّ قرار الخط الهمايوني العثماني»1، لم يؤثر على بناء الكنائس، والأديرة في القدس، رغم ما أثاره من جدل في مصر بل بالعكس، ففي الفترة العثمانية ازدهر بناء الأديرة والدليل على ذلك بناء دير السلطان بعد أنْ حصل ممثل الأقباط على ترخيص من السلطان العثماني جلال الدين شاه، والذي رحب بالبناء، وظلَّ حتى الآن المدخل الوحيد لدخول الحجاج المسيحيين إلى كنيسة القيامة أقدم الكنائس في العالم.

1- - الخط الهمايوني: فرمان صدر من الباب العالي الموشح بالخط الهمايوني في أوائل شهر جمادى الآخر سنة 1272 هـ - فبراير سنة 1856 م في عهد السلطان عبد المجيد خان بن محمود خان (حكم الإمبراطورية العثمانية بين 1839- 1861م) في الوقت الذي كان والي مصر هو سعيد باشا (حكم مصر بين عامي 1854- 1863 م) وشمل عدد من القرارات تخص حرية العبادات وبناء الكنائس وعمليات الإصلاح والترميم والمساواة في الوظائف، ولكن هذا الفرمان أثار الجدل في مصر في تحديد البناء وتنفيذ بنوده والبعض اعترض على بنوده خاصة بعد صدور قرارات من الحكومة المصرية اعتبرها الأقباط مجحفة في حقهم .

5 ـ الفن القبطي:

الواقع أنَّ الفنَّ القبطي هو فن مصري تناول جميع مرافق الأقباط، ونواحي حياتهم فهو فن ديني، وفن شعبي، أو دنيوي. فهو يعبر عن البيئة المصرية مع احتفاظه بشخصية فنية قوية، وطابع خاص واضح. وظلَّ محتفظًا بمقوماته رغم انتشار الحضارات المختلفة. هذا وقد كان الفتح العربي للبلاد القبطية وضعًا ملائمًا للفن القبطي، وسرعان ما أثَّر الفنُّ القبطي بشدة على الفن الإسلامي، واتجه الصناع الأقباط بتطعيم الفن الإسلامي بالفنون القبطية، وبذلك تطور الفن المصري أو القبطي في العصور الإسلامية. ونظرًا لإقبال العرب الشديد على الفن القبطي، واستخدامه في مختلف فنون الرسم، والعمارة اكتسب العرب هذا الفن، وأطلق عليه الفن الإسلامي ويتضمن الفن القبطي الديني التصوير الذي ظهر في الأيقونات، وصور الملائكة والرسل والقديسين، واستعملت صور الوجوه الآدمية، وصور الحيوانات لتزيين الأكفان ونسجت على الكتان والصوف بألوان متنوعة، وهو ما ظهر جليًا في كنائس وأديرة الأقباط في فلسطين، وانعكست جميعها على حياتهم في القدس .

فن النسيج القبطي:

بلغ فن النسيج القبطي من الرقي والروعة في النقوش والألوان إلى حدٍّ أنَّه غزَّى الأسواق في كل البلاد. وبالنسبة للعرب أثَّر فنُّ النسيج القبطي علي النسيج في العالم الإسلامي بشكل كبير جدًّا وكتب العالم كونل عام 1938م عن التقاليد القبطية في فنِّ النَّسيج الإسلامي.

فن الزخرفة المعمارية:

وبالنسبة إلى فنِّ الزخرفة المعمارية برع الصناع الأقباط في إظهار مواهبهم على الحجر الجيري والخشب. وكان تصميم رسومهم على الحجر جميلًا وصناعته متقنة، وكانت تيجان الأعمدة الحجرية تُزين بزخرفة على نسق شغل السلال والكروم

وأوراقها، وسعف النخيل، وأوراق الغار. كما كانت الأفاريز تزين برسوم تُمثل الكروم، ومناظر الصيد والحيوانات والنباتات، أمَّا الأجزاء العلوية للطاقات كانت تزخرف على هيئة الأصداف أو الكروم أو العنب أو الأسماك، كذلك حفرت ألواح الأبواب الخشبية والأفاريز بزخارف ورسوم هندسية. وبرعوا كذلك في صناعة أدوات الزينة، والحلي من أدوات مختلفة ولأغراض مختلفة؛ فصنعوا المكاحل والأمشاط والأساور والحلقان وغيرها.

ذكر المقريزي: في كتاب أخبار مكة أنَّ الكعبة طغى عليها قُبَيْل ظهور الإسلام سيل عظيم صدَّع جدرانها فأعادت قبيلة تُدْعى قريش بناءها مستعينة في ذلك بنجارين أقباط، وأثبتت الأوراق البردية التي عثر عليها في مصر أنَّ الوليد استعان بالأقباط في بناء مسجد دمشق، والمسجد الأقصى في القدس، وقصر أمير المؤمنين هناك.

ويذكر البلاذري: في فتوح البلدان أنَّ الوليد استعان بالقبط في إعادة بناء مسجد المدينة، وأثبت العلماء أنَّ قصر المشتي في شرق الأردن قد نَقل الزخارف القبطية، والتخطيط المعماري الخاص بالدير الأحمر، والدير الأبيض بسوهاج، وذكر المؤرخون أنَّ عمر بن عبد العزيز لما أعاد بناء الجامع النبوي في المدينة استعان بمعماريين مصريين، أي: أقباط بنوا فيه أول محراب مجوف في الإسلام، وهذا مأخوذ عن حنيات الكنائس. وذَكر أيضًا المقريزي أنَّ مهندسًا قبطيًا شيَّدَ جامع ابن طولون بطريقة هندسية فريدة، ولقد أوضح العالم كروزيل في كثير من مؤلفاته عن الأثر القبطي على العمارة الإسلامية.

6 ـ أهم ممتلكات الأقباط خارج القدس:

كنيسة ودير الأنبا أنطونيوس في يافا:

تم تشييد الكنيسة بهذا الدير سنة 1858م، ولها مذبح واحد وأيقوناتها على الطراز البيزنطي، وتؤدَّى فيها الصلوات كل يوم أحد أسبوعياً. تحتوي الكنيسة علي هيكل تحته مقبرة، دفن فيها بعض مطارنة الكرسي الأورشليمي، منهم نيافة الأنبا باسيليوس الثاني (1856-1899م)، ونيافة الأنبا باسيليوس الثالث (1925-1935م). أمَّا الدير فمكون من طابقين، على كل منهما ست غرف فسيحة. وتتصل بالطابق الأرضي شرفة من الجهات الأربع، أما الطابق العلوي فلشرفته نوافذ زجاجية ملونة، وبجانب الدير توجد بركة مياه كانت تستعمل في ري الحديقة المزروعة بأشجار الفاكهة، وقد بنى نيافة الأنبا ثاوفيلس الأول مطران الكرسي الأورشليمي(1935-1945م)، داراً في جزء من الحديقة بجوار الكنيسة.

كنيسة ودير الأنبا أنطونيوس بأريحا:

بنيت من قبل الأنبا تيموثاوس الأول عام1922م وافتتحت في عام1925م، وفي عام1962م، رَمَّمَ الأنبا باسيليسوس الرابع بناء الكنيسة، وأضيف إليها أيقونات جميلة ومقاعد خشبية، وفي عام1993م قام نيافة الأنبا أبراهام، مطران الكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى، بتعمير وتجديد الكنيسة مرة أخرى، وبناء أسوار للدير وبركة مياه، وفي عام1995م جدَّد الأنبا أبراهام مبنى سكن الرهبان والمضافة الملحقين بالدير.

كنيسة ودير مار زكا والقديس أندراوس بأريحا:

بنيت في عهد الأنبا باسيليوس الرابع علي آثار كنيسة بيزنطية بالقرب من بيت زكا العشار، حسب الكتاب المقدس، السيد المسيح. وفي عام1993م قام نيافة الأنبا أبراهام مطران الكرسي الأورشليمي باستبدال سقف الكنيسة المتهدم بسقف جديد،

وتم تعزيز جدران الكنيسة من الداخل بالحجر بعد إزالة الجدران الطينية. وقد بنى نيافته أماكن لنوم الرهبان ودورات مياه جديدة، وأحاط الدير بالأسوار.

كنيسة السيدة العذراء بالناصرة:

بدأ التفكير في بناء كنيسة بالناصرة سنة 1936م، عندما زار نيافة الأنبا ثاوفيلس الأول مدينة الناصرة، وحثّ الأقباط على إقامة كنيسة لهم لرعايتهم روحياً. ولمَّا خلفه نيافة الأنبا ياكوبوس (1946-1956م)، اشترى قطعة أرض، وبنى عليها كنيسة سميت (كنيسة السيدة العذراء والبشارة القبطية الأرثوذكسية)، وهي كنيسة جميلة تقع بالقرب من كنيسة البشارة للروم الأرثوذكس في قلب مدينة الناصرة، وجدران هذه الكنيسة مكسوة بالحجر الأبيض، وبها مذبح واحد، ولها شرفة من الناحية الغربية على الطابق الثاني وتعلوها منارتان. كما يوجد بجوار الكنيسة سكن للآباء الرهبان وصالة كبيرة بملحقاتها وساحة كبيرة تستعمل كناد للشباب.

كنيسة البشارة في الناصرة:

حيث قام نيافة الأنبا أبراهام مطران الكرسي الأورشليمي في عام1993م، بشراء منزل ملاصق للكنيسة من الناحية الغربية لاستخدامه مقرًّا لحضانة تتبع للكنيسة .

كنيسة ودير مار يوحنا المعمدان على نهر الأردن:

يزور الحجاج الأقباط الذين يفدون إلى الديار المقدسة نهر الأردن للتبرك بمياهه، وتلك عادة قديمة درج ليها المسيحيون الذين يزورون الأماكن المقدسة؛ لذلك بنى الأقباط كنيسة ودير مار يوحنا المعمدان بالقرب من النهر. ويذهب أبناء الطائفة القبطية مع نيافة مطران القدس، مرة واحدة في السنة (يوم عيد الغطاس) لإقامة صلوات تبريك الماء على ضفة نهر الأردن بجوار الدير.

الفصل الثالث

علاقات الأقباط بالأديان والطوائف

1 ـ الأقباط والأرثوذكسية:

أستطيع القول ليس شرطاً أنْ يكون كل أرثوذكسي قبطيًّا، ولكن غالبًا يكون كلُّ قبطيٍّ أرثوذكسيًّا، فمع اختلاف وانقسام الكنسية المسيحية إلى عدة طوائف، ومعتقدات أهمها الكاثوليك والبروستانت ومثلوا الغرب وأوربا، ومن جانب آخر الأرثوذكس، وهم الشرق، ومعقلها الأراضي المقدسة ودان بها أغلب مسيحي العرب والمشرق، وبذلك تأثَّر الأقباط بالأرثوذكسية لعدة مفاهيم؛ أهمها العقيدة الواحدة، وقرب المسافة، وسرعة الانتشار في مصر، وهذا لا ينفي وجود أقباط يتبعون الكاثوليكية أو الإنجيلية (البروتستانت، حيث ذكر أبو سيف أنَّ الأقباط يتبعون ثلاث معتقدات رئيسة وهي الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والبروتستانت إلَّا أنَّ معظمهم يتبعون الكنيسة القبطية الأرثوذكسية»[1]، وتعرف بكنيسة الإسكندرية والكنيسة المصرية»[2].

والرواية الأساسية هي خروج المسيح وهو صغير إلى مصر هربًا من بطش هيرودس»[3*4]، ممَّا ساهم في نشر المسيحية .

وتُعَدُّ الطائفة الأرثوذكسية من أقدم الطوائف المسيحية في فلسطين، وأكثرها عدداً من العائلات المسيحية في القدس والناصرة وعكا وعموم فلسطين، وتعود إلى القبائل العربية القديمة من الغساسنة، والتغالبة، ومنذ القرن الأول للميلاد وحتى الوجود العثماني عام1516م بقيت رئاسة البلاد لرهبان يونانيين، استطاعوا بمساعدة السلطات العثمانية أنْ يوصلوا أحدهم إلى منصب البطريرك، فعمل هو وخلفه على صبغ البطريركية الأورشليمية بالصبغة اليونانية.

1- الكنيسة المصرية: وهي أقدم الكنائس في مصر وتعد الكنيسة القومية وفي التقليد الأرثوذكسي يعد مؤسسها القديس مرقس الرسول الذي جاء إلى مصر في فترة يرجح أنها ترجع إلى 48 و64 للميلاد .

2- يوسف، مرج ع سابق، ص 23 .

3- هيرودس: الملك الذي أمر بذبح الذكور الذين يولدون في بيت لحم عندما علم بولادة السيد المسيح .

4- أبو غزالة، مرجع سابق، ص 26

ومن هنا نفسر أنَّ الأقباط كسكان أقدم من الأرثوذكسية كديانة، والتحقوا بالمسيحية الأرثوذكسية الشرقية ومرجعيتهم كنيسة الإسكندرية والكنيسة المصرية .

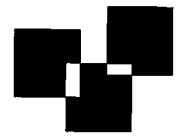

2 ـ الأقباط والمسلمون:

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }»[1]. إنّ علاقة الأقباط بالمسلمين في المدينة المقدسة قوامها التسامح، والتعايش، والتعاون منذ الفتح الإسلامي، وقد أمَّنَ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أموالهم وكنائسهم وصلبناهم للمسيحيين كافّة ومن ضمنهم الأقباط ـ من خلال العهدة العمرية وأمَّن لهم البقاء، ومع مرور الزمن أصبحوا جزءًا لا يتجزّأ من المدينة القديمة بأحيائها وأديرتها. وفي الصحيح المُروى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنّه كان يسأل القادمين من الأمصار عن أحوال أهل الذّمّة ويشدّد في المسالة حتى يقال له: لا نعلم إلّا وفاء وبرًّا محضًا، فيقول: الحمد الله، ومات وهو يوصي الخليفة بعده خيرًا بأهل ذمة المسلمين، وإنْ يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم»[2]، بل ودافع الأقباط والمسيحيون عن المدينة زمن غزو الصليبين، ووقفوا إلى جانب الناصر صلاح الدين باعتبار أنَّ الأقباط الأرثوذكس الأقرب إلى العرب من الصليبيين الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم، الذين كان لهم أطماع استعمارية في فلسطين وبلاد الشام. وقد أثبت التاريخ أنَّ المسلمين حافظوا على طريق حجاج المسيحيين، وامّنوا طريقها ولم يُسجَّل أيُّ اعتداء على هذه القوافل. وقد ضرب الناصر صلاح الدين الأيوبي أكبر مثال في التسامح واحترام المقدسات المسيحية، وظهر ذلك في حسن التعامل معهم ومع أملاكهم. وفي ذلك يذكر المؤرخ أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود: «أنَّ الفرنجة حرموا الأقباط من زيارة القبر المقدس إلى أن استعادها صلاح الدين الأيوبي1187م، وملك أخوه العادل من بعده على مصر، ثُمَّ الملك الكامل ابنه، وعاد، وفتح كنيسة القيامة؛ لزيارة الأقباط . وفي هذا قال المستشرق رينو: أنَّ

1-- البقرة: 136 .

2-- محمد سليم العوا، الأقباط والمسلمين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى،1987م، ص49 .

صلاح الدين لم يكتفِ بالتسامح مع الأقباط، وكان عددهم كبيراً في ذلك الوقت، بل احترم عهدهم وجعل بعضهم يعمل في خدمته، وكان من رفقته في حملته من مصر عدد غير قليل من كُتاب الأقباط يعملون كمدنيين للحسابات، وتنظيم الإمداد، وبعضهم كعمال، وكافأهم على إخلاصهم برد الأماكن التي كانوا يمتلكونها والتي أخذها الفرنجة منهم، ومنذ عهد صلاح الدين الأيوبي بدأ الأقباط في الاتجاه إلى زيادة أملاكهم وكثرت أعدادهم»[1]، وكل ذلك استكمالًا لمسيرة عمر بن الخطاب، والذي رفض الصلاة في كنيسة القيامة موعد أذان الظهر بطلب من البطريرك صفرونيوس كي لا يأخذها المسلمون حجة فيما بعد ويبنون مسجدًا مكانه، بل أمر ببناء المسجد بجوار الكنيسة بعد أنَّ رمى حصوة ليشير إلى مكان البناء، وكان هذا الحدث شاهدًا على الأخلاق الفضيلة التي حملها الدين الإسلامي، وحسن معاملة أهل الكتاب .

وبذكر علاقات المسلمين والأقباط، علينا أنْ نعرج على هذه العلاقات في مصر معقل الأقباط، فرغم الأصول القبطية لمسلمي مصر كما أسلفنا، إلا أنّ العلاقات شابها التوتر خلال فترات القرن العشرين، وقد ساهمت أيادي غربية في إشعال الفتنة، ولكن بكل الأحوال الشعب المصري دائمًا كان يتخطى هذه الأزمة ولكن لم تحل بالكامل، فرغم المشاركة السياسية للأقباط وحصولهم على امتيازات في الدولة مثلهم مثل المسلمين إلا أنهم يرون أنها تبقى منقوصة في ظل عدم المساواة ورفع التمثيل، وتقلد مناصب عليا في الدولة، وغيرها من حقوق المواطنة، والتدخل في شؤون الكنيسة مما أثار حفيظة الرهبان»[2]، وكنيسة الإسكندرية والبابا شنودة الثالث عدة مرات، وأعتقد أنّ أهم قضايا الخلاف التي تحدث تتعلق بوضع اجتماعي، وقوانين الأحوال الشخصية، وزواج المسلمين من القبطيات . وكما ذكر أحمد بهجت في عموده الشهير (صندوق الدنيا) في أهرام الأربعاء 1987/3/11م: أنّه بوضوح وبصراحة، إسرائيل المستفيد الوحيد من بذور الفتنة الطائفية في مصر، ونقل عن مصادر إسرائيلية أنّ هذا السعي الخبيث يمثل هدفًا صهيونيًا استراتيجيًا خلال تسعينيات القرن الماضي»[3].

1- موسوعة الأقباط http://www.coptichistory.org/

2- الرهبان جمع راهب الذي كان يقيم في الدير في قلاية - زاوية - مستقلة به وحده ولكل قلاية إسطبل صغير تابع لها فيه حمار ومعزة او خروف . ويذكر ان في الأعياد والمناسبات يجتمع الرهبان مع بعضهم البعض في صالة الأكل الكبيرة ، أما الصلوات اليومية فقد كانت تصلى كلها مع بعض في كنيسة الدير . وفي زمن المملكة البيزنطية انتشرت الرهبنة انتشارا كبيرا والتحق الكثير من الرجال والنساء بالأديرة التي انتشرت خاصة في مصر وكان الرهبان المتوحدون بمثابة المثل الأعلى الذي ينبغي ان يتحدى به لكثير من الرهبان وكان للمتوحدين تأثيرا كبيرا في حياة الناس الاجتماعية العادية وأقوالهم وآباءهم والقصص التي كانت تروى عن حياتهم وأعمالهم كانت المثل الأعلى الذي يجب أن يتحدى به .

3- العوا، مرجع سابق، ص 55

* كنيسة القيامة رمز التعايش:

ولن أطيل فيما سبق؛ لأنَّه ليس موضوع الكتاب، إلّا أنّ ذكره للتأكيد على أنْ ليس هناك علاقة بما يحدث في مصر تمامًا، بأقباط القدس فهم ضمن مسيحي فلسطين الذين ينعمون بالأمن والأمان والمساواة في الحقوق منذ قرون، ووحدة المعاناة من بطش الاحتلال، بل إنَّ من يرعى الكنائس المسيحية هم المسلمون وخير دليل كنيسة القيامة التي سُلمت مفاتيحها لعمر بن الخطاب وسَلمها بدوره لعبد الله ابن أم عمارة المازنية الخزرجية، وظلت في يدهم المفاتيح حتى الغزو الصليبي1099م . الذين حكموا 88 عاماً وفي تلك الحقبة غادرت عائلة نسيبة»[1]، القدس إلى نابلس؛ حيث الأمراء ومنهم علاء الدين ابن نسيبة الخزرجي، ومن بني غانم وغيرهم»[2].

وخلال معارك استرجاع القدس قاتل المسلمون والمسيحيون جنبًا إلى جنب واستشهد 70 ألفًا، أمّا فيما يخصُّ عائلة نسيبة فقُتل90% منهم فقرَّر صلاح الدين الأيوبي إعطاءهم أراضي في منطقة اللبن من خلال فرمان سلطاني ينصُّ على تقسيم50 ألف دونمًا، قِسْمٌ للصخرة المشرفة، وقِسْمٌ للحرم الإبراهيمي، وقِسْمٌ وُقِّفَ لـ(آل نسيبة) .

وفي عام1612م صدر فرمان عثماني ينصُّ على إعطاء ومشاركة آل غضية (جودة) في كنيسة القيامة؛ حيث تسلمت الوظيفة، ومفاتيح كنيسة القيامة عام1624م، وتَمَّ تعيين أحد أفراد عائلة درويش ككاتب مع عائلة (نسيبة) في فتح وإغلاق بوابة الكنيسة، و(آل جودة) لهم أمانةُ مفاتيحِ القدس حتى يومنا الحاضر، فيما تَسَلَّمَ مفاتيح الكنيسة 3 أيام من العام في عيد الفصح إلى طائفة اللاتين الفرنسيسكان من قبل عائلتي (جودة ونسيبة)، وفي الجمعة الحزينة يتوجه فردان من العائلتين إلى بطريركية الروم الأرثوذكس لتسلم مفاتيحها، وفي سبت النور المجيد يتوجهون إلى بطريركية الأرمن الأرثوذكسية لإعطائهم المفاتيح حسب التقليد التاريخي، فيما تقوم العائلتان بختم

1- آل نسيبة : عائلة خزرجية أنصارية ينتمون إلى قبيلة بني غانم، وجذورهم الأصيلة من المدينة المنورة، وفي حقيقة التفصيل فإن العائلة تنتمي لامرأة تدعى أم عمارة المازنية، التي شهدت الإسلام هي وإخوانها عبد الله بن كعب المازني، وعبد الرحمن البكائي ليلة العقبة والحديبية واليمامة، وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: مقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وعلان ومن =صفاتها أنها كانت شرسة في الدفاع عن الإسلام حتى أنها جرحت 13 جرحا إلى أن نادها= =الرسول صلى الله عليه وسلم، باسم حمراء الأسد فشد عليها ثيابها فما استطاعت من نزيف الدم وكانت هي وزوجها و18 شخصا تدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع أبنائها منهم زيد بن عاصم، الذي قتله مسيلمة الكذاب مما دعا زيد عبد الله بن زيد الى قتل مسيلمة انتقاما لأخيه وكان أحد الفاتحين والشاهدين على العهدة العمرية .

2- محمد الشنطي، كنيسة القيامة بين سماحة المسحيين وحكمة المسلمين، القدس، صحيفة القدس اليومية، عدد 2011/6/5م، ص 48

القبر المقدس قبل فيض النور مع باقي الطوائف من الروم، والأرثوذكس، واللاتين، والأرمن . وفي زمن حكم إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر السابق علمًا بأنَّ والدته قبطية»[1]، تَمَّ إلغاء أجرة دخول الكنيسة والتي كانت مفروضة من الحكومة العثمانية زمن السلطان سليمان القانوني .

* حقوق الشعائر القبطية في كنيسة القيامة:

احتفظ الأقباط بالحقوق القديمة التي وضعت من أيام المجامع الكنسية في مقادس كنيسة القيامة، منها ستة قناديل فوق حجر المغسل، وداخل القبر المقدس، وهذه القناديل مقسمة إلى أربعة داخل غرفة القبر، وواحد في غرفة الملاك ، وآخر فوق حجر المغسل . ومن الحقوق الثابتة أنَّ الأقباط لهم حق في احتفالات (أحد الشعانين)، و(النور المقدس) حيث يشتركون في دورة أحد الشعانين، ودورهم بعد الروم والأرمن، ويليهم السريان، وقد أشار إلى ذلك المستشرق إجمونت Egmont سنة1700م، وفي يوم الجمعة العظيمة تفتح كنيسة القيامة خاصة للأقباط الأرثوذكس لهم وحدهم بين الساعة (5 - 7 مساء) ليطوفوا بموكبهم في جميع أرجائها ويقدمون الصلوات على مذابحها كافة .

وفي احتفالات النور المقدس التي تقام في سبت النور فإنَّ الأقباط يدورون حول القبر المقدس ثلاث دورات، وذلك بعد الروم والأرمن وهم ينشدون ألحانهم القبطية الشهيرة، ويتكرر هذا الاحتفال مرة ثانية في الساعة الرابعة من صباح فجر أحد الفصح .

وللأقباط حق قراءة صلوات السواعى النهارية والليلية . ولهم حق أيضاً في دورة البخور داخل القبر المقدس، وفي مقادس كنيسة القيامة كل يوم من أيام السنة نهاراً وليلاً، وهذا عدا البخور الرسمي في الأعياد والمواسم على قدم المساواة مع اللاتين والروم والأرمن»[2]، ولذلك تعدُّ كنيسة القيامة رمز لالتقاء الطوائف المسيحية كافة، و القبطية خاصّة.

وللأقباط الحق في المواكب الرسمية إلى كنيسة القيامة، أو في داخلها مثل باقي الطوائف الممثلة فيها، فيدخل مطران الأقباط المسيحيين الأرثوذكس كنيسة القيامة في موكب رسمي يتقدمه الشمامسة، والكهنة حاملين الصليب المقدس، والحية النحاسية ثم يعود إلى مقر المطرانية بنفس الموكب بعد انتهاء الصلوات.

1- الشنطي، مرجع سابق، ص 48

2- عادل، مرجع سابق، العدد 1912م.

3 ـ علاقة أقباط القدس بالديانات والأقليات الأخرى:

كانت القدس مجمع التقاء الديانات الثلاث، وشكلت آية في التعايش على مدى قرون إلى أنْ دنسها الصهاينة المحتلون، وإلى جانب هذه الديانات ظهرت الأقليات التي انبثقت عن هذه الديانات، وأهمها المسيحية التي أفرزت طوائف الأرثوذكسية والكاثوليك والبروتستانت، وأقليات تمثلت في الأقباط، والأرمن، والأحباش، وموارنة، وغيرهم، وهذا يجعلنا نسلط الضوء على مدى علاقة الأقباط بهذه الأقليات في المدينة المقدسة خاصة، التي شكلت لوحة رسمت عمارة، وثقافة، وروحانية لكل فئة منهم، ورغم اجتماعهم على دين واحد لكنّ اختلاف المدارس أعطى لكل منهم خصوصيته. وأهم ما يذكر في هذا الموضوع العلاقات القبطية الحبشية»[1]، والتي شهدت حالة من التوتر استمرت لسنوات طويلة، ووصل صداها إلى الباب العالي في اسطنبول، وأهم ما تنازعا عليه كما ذكرنا سابقا دير السلطان. وشهد عام1850م أعنف المواجهات بين الأقباط والأحباش، ثم عادت الأوضاع للهدوء، فيما شهد عام1855م مناوشات بين الأرمن والأقباط والأثيوبيين، ولكنها أقل حِدَّة. وقد ظهرت شخصية البطريرك كيرلس الرابع عام 1854م؛ حيث ساعد على استقرار الأمور في القدس بين جميع الطوائف، وجدَّدَ الكيان القبطي داخليًا، وخارجيًا، وغيّر من صورتهم لدى الأوساط الدينية بفضل حسن علاقته برجال الطوائف المسيحية، وعمل على تنفيذ فكرته في التوفيق بين الكنائس المصرية واليونانية والأرثوذكسية والأسقفية الانجليزية لمبادئها الواحدة إلّا في بعض الألفاظ أدت إلى انقسامها، وساعد على ذلك حب الرئاسة، وقد صرّح لمندوبي هذه الكنائس بالتنازل عن منصبه لو تمَّ الاتحاد وزالت أسباب الخلاف بين الطوائف»[2].

وقد تدخَّلَ سعيد باشا - والي مصر - لإحباط هذا الجهد خوفًا مِنْ أَنْ يكونَ هناك تدخلٌ مِنْ روسيا، وإنجلترا بوضع الكنيسة المصرية تحت حمايتها.

1- الحبشية: نسبة إلى الأحباش وهم مسيحي أثيوبيا القاطنين منهم في بيت المقدس.

2- عبد السيد، مرجع سابق، ص 19

والشيء المؤكّد أنّه حدث تقارب بين الكنيسة المصرية، والكنيسة الأسقفية الانجليزية، ممّا أحدث دورًا كبيرًا في تهدئة الأمور في القدس، وجاء ذلك في وقت كان النفوذ الفرنسي في عهد سعيد باشا سائدًا وهذا أجهضَ دور المساعدة الانجليزية في القدس ضدَّ الأقباط خوفًا على وجودهم في مصر .

وتوترت العلاقات بين الأقباط، والأحباش بعد إشاعة إنجليزية تحدثت عن بيع الأقباط دير السلطان إلى الروس؛ انتقامًا لسوء معاملة الإمبراطور تيودور - إمبراطور أثيوبيا - للبطريرك كيرلس الرابع خلال زيارة لمحاولة توطيد العلاقات، والحقيقة أنَّ الأقباط باعوا الروس قطعة أرض قريبة من الدير؛ لتشييد بناء روسي، وهذا حرك القنصل الإنجليزي لمخاطبة حكومته بخصوص ضرورة حصول الأثيوبيين على وثيقة من الباب العالي بخصوص ملكيتهم للدير، ولكن لم يكن لذلك تأثير؛ لأنَّ الإمبراطور الأثيوبي أصدر قراراً: بـ»أنّه إذا كان بدير السلطان قسيس أو علماني من الأثيوبيين ليس بيده أمر بختم المملكة الأثيوبية؛ يكون من المفسدين ولا يصير قبوله ويعتبر من المخالفين»[1]، بناءاً على رسالة سابقة بعث بها البطريرك السابق عقب أزمة سنة 1850م، إلى حكام أثيوبيا، ولم ينفذوه لكي يحدَّ من وصول الأثيوبيين المشاغبين الذين قد يستغلون الظروف ضد أقباط القدس، وتكرر الأزمة التي عادت بوفاة البطريرك كيرلس الرابع، حيث أوعز القنصل للأثيوبيين باستصدار فرمان من الباب العالي، فلجأوا إلى خطف مفاتيح الدير ثانية بعد مشاجرة عنيفة في كنيسة الدير، وتدخل الباشا العثماني بجيش كامل وأمر الأثيوبيين بإعادة المفاتيح للأقباط إلّا أنهم رفضوا . وفي مارس سنة 1863م صدر قرار من مجلس مدينة القدس الكبير بأنْ يُسلم الأثيوبيون المفاتيح للأقباط على أنْ يُسمح لهم في نفس الوقت بالاستمرار في طقوسهم في الأوقات التي حُدِّدَتْ من قبل، أمّا إذا رفضوا ذلك فترفع الأقفال الموجودة الآن، ويوضع قفل غيره ويعطى مفتاحه إلى الأقباط»[2].

وقد صدر عدد من القرارات تؤكد القرار السابق تمثلت في الحجة الشرعية الصادرة عن المجلس في مايو سنة 1863م، وتبعه قرار عثماني في يوليه سنة 1863م من الآستانة لمتصرف القدس بتنفيذ هذا الأمر، وبناءًا عليه بُدِّلت الأقفال القديمة، وسُلِّمت مفاتيحها للأقباط»[3].

1-- رزق، مرجع سابق، ص 164

2- -عبد السيد، مرجع سابق، ص 26

3-- المرجع نفسه، ص 26

وقد أشار أحد الرحالة الألمان الذي زار القدس سنة 1877م إلى دير السلطان الذي يشرف عليه أحد كبار رجال الدين الأقباط بينما كان الرهبان الأثيوبيون يقيمون في الدير القبطي ممّا دلّ على وجودهم في الدير مع الأقباط وأنّهم عاشوا بسلام ولم تنشأ أيُّ اضطرابات في الفترة ما بين 1863م إلى 1877م.

في برلين عقد مؤتمر سنة 1878م وأسفر عن معاهدة جاء في مادتها (62) بأنَّ الحريَّة الدينية في أراضي الدولة العثمانية كلّها مكفولة للجميع، ومنعت وضع عراقيل سواء في النظام الكهنوتي للطوائف المختلفة، أو في علاقة هذه الطوائف برؤسائها الروحانيين، كما اعترفت بحق ممثلي الدول في تركيا سواء كانوا دبلوماسيين، أو قناصل في الحماية الرسمية للكهنة، والحجاج، والرهبان من جميع الجنسيات، والمؤسسات الدينية والخيرية، وغيرها التابعة لهم في الأماكن المقدسة، وسواها، واشترطت عدم المساس بالحالة الراهنة في الأماكن المقدسة»[1].

1-- رزق، مرجع سابق، ص 179 ـ 180

الفصل الرابع

الحياة السياسية القبطية

1 ـ الموقف القبطي من القضية الفلسطينية:

لقد تعدَّدَتْ وتصاعدت صور التضامن مع الشعب الفلسطيني في كفاحه ضد الاستعمار الصهيوني، وتهديد المقدسات الإسلامية، ففي عام 1936م رفض مصطفى النحاس في مفاوضاته مع الإنجليز مشروع تقسيم فلسطين، وفي عصبة الأمم ساند الوزير القبطي واصف باشا غالي الوفد الفلسطيني، وذكر أنّ العلاقات بين مصر، وفلسطين تاريخية، وتقوم على أساس الجوار ووحدة اللغة، والدين، والحضارة»[1]، وقد انضم لجمعية الاتحاد العربي شخصيات قبطية منها، توفيق دوس باشا والذين عرفوا بالدفاع عن الحقوق العربية . وفي عام 1948م دخل الجيش المصري فلسطين، وكان في صفوفه من الضباط القبط اليوزباشي (الرائد) فؤاد نصر هندي، الذي كان مثالًا للبطولة والاستشهاد عند الهجوم على مستعمرة بيرون إسحاق بالقرب من غزة»[2].

وفي عام 1944م تمّ في القاهرة إنشاء رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس، وحرصت الرابطة منذ ذلك التاريخ على أنْ تعمل من أجل حفظ تراث الأقباط في القدس، مساعدة اللاجئين الأقباط بعد ذلك، إلى جانب تيسير إجراءات الزيارة المقدسة إلى القدس، هذا فضلاً عن المساهمة المادية في تدعيم الكنائس، والأديرة، والمدارس القبطية في القدس. كما حرصت الرابطة منذ نشأتها حتى توقف الحج القبطي إلى القدس»[3]، وقد عرف عن حزب الوفد القبطي دفاعه المستميت عن الحقوق العربية الفلسطينية الثابتة، فبرزت شخصية مكرم عبيد الذي زار فلسطين، وألقى عدة خطابات، ومن قبله عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية .

وبعد عدوان إسرائيل عام 1967م قامت الكنيسة القبطية بأنشطة واسعة على

1-- يوسف، مرجع سابق، ص 135

2- - المرجع نفسه، ص 135

3- - عادل، مرجع سابق .

الصعيدين المصري، والدولي، وهي أنشطة عبرت عنها المحاضرات والبيانات المذاعة، والكتيبات العديدة، واللقاءات العامة . واهتم البطريرك وبعض الشخصيات الدينية الأخرى بالكتابة عن مشروعية الجهاد المسلح ضد المعتدين الإسرائيليين باعتباره واجبا مسيحيًا»[1] .

وعندما قامت إسرائيل بضم القدس القديمة طالب البابا القبطي في رسالته للبابا روما بولس السادس بأنْ تعود القدس إلى الوضع الذي كانت عليه، وأوضح أنّ هذا الإجراء الإسرائيلي هو طعنة موجهة إلى قلب العرب مسيحيين ومسلمين، وأيدت الكنيسة كفاح المقاومة الفلسطينية وأظهرت حق العرب في القدس، والأراضي المقدسة»[2]، وخلال هذه الحقبة شددت القيادات الكنسية على توضيح موقفها من إسرائيل وذلك من زاويتين دينية وقومية، فمن الناحية الدينية لا تعترف الكنيسة القبطية بالكيان الديني لإسرائيل؛ لأنهم كشعب لم يحفظوا عهد الله، ولم يؤمنوا بالمسيح فقضي عليهم بالتشتت بين الأمم؛ ولذلك لا مجال للاعتراف بعهود ملكية الأرض . ومن ناحية الزاوية القومية، فإنّ أمريكا وبريطانيا رعتا إسرائيل لكي تحطما قوة العرب ولكي تضيعا عليهم فرص التحالف من أجل مستقبلهم العربي الموحد الذي تنيره الأيدلوجية القومية وتثير الشعوب العربية نحو وحدة الهدف»[3].

من أهم ما قد يذكر في الحياة السياسية الحديثة هو قرار البابا شنودة عام 1973م بعد حرب أكتوبر بموجبه منع الأقباط من الحج إلى القدس؛ لأنها محتلة، واعتبر أنّ الزيارة إليها تطبيعًا، إلّا أنّ الأب حنا رحّب بكلّ الحجّاج القادمين لزيارة الأراضي المقدسة، وأنّ الزيارة يجب أنْ تحمل طابعًا دينيًا وطنيًا، فالذين يزورون القدس من دول لها علاقات مع إسرائيل لا يعتبر ذلك تطبيعا، ويمكن القبول به، أمّا أنْ يأتوا الزوار من دول يمكن أنْ تفسر زيارتهم على أنّها تطبيع فهذا الأمر مرفوض، فمن يزور القدس من دول أجنبية، ويحمل جوازا أجنبيًا تعتبر زيارته مقبولة، أمّا عدا ذلك من دول عربية فهي مرفوضة، ومعظم الأقباط الحجاج يزورون القدس حاملين جوازات أجنبية، فليس بالضرورة أن يكون قدومهم من مصر وذلك تماشيًا مع قرار البابا شنودة في مصر بمقاطعة الاحتلال»4. وقد عُرِف عن الأقباط مناصرتهم للقضية

1- يوسف، مرجع سابق، ص 160 .

2- المرجع نفسه، ص 160 .

3- المرجع نفسه .

4- الشنطي، مرجع سابق، ص 48

الفلسطينية ومطالبتهم بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي والرجوع لحدود 4 حزيران 1967م واعتبار القدس الشرقية عاصمة عربية للدولة الفلسطينية بما تشملها من أحياء عربية إسلامية ومسيحية وتشمل الحي القبطي .

وأستطيع القول رغم قلة الوجود القبطي في القدس وفلسطين إلّا أنّ هذا التمثيل الأرثوذكسي شكّل نقطة لتلاقي حجيج الأقباط في العالم وبذلك ساهم في التعريف أكثر بالقضية الفلسطينية، وترابط المعاناة المسيحية الإسلامية من الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والمدينة المقدسة، وهذا ما ينطبق على باقي الطوائف والأقليات التي أصرت أنْ يكون لها وجود على هذه الأرض، إضافة لارتباطها الديني شكّلت عاملًا مؤثّرًا في الحياة السياسية رغم قلة تصريحات الطوائف المسيحية . لكن في كتابات البطريرك كيرلس السادس وقيادات الكنيسة، اتسعت دائرة استخدام عبارات، مثل: الشعوب العربية الشقيقة، وبلادنا في المشرق العربي والتاريخ المشترك، والوحدة التي تستهدف بناء الوطن الكبير، والوطن العربي، والأمة العربية، وأنَّ العرب هم مسلمون ومسيحيون»[1]، ولا توجد بيانات مطبوعة بشكل فوري ودائم بشأن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين إلا أنّ المواقف الوطنية تظهر في الأحداث المصيرية والمفجعة وتُرَسِّخُ الثوابت العامة بضرورة إعطاء الفلسطينيين، والعرب حقوقهم الكاملة، بل أنّ الأقباط اشتركوا مع الفلسطينيين في نفس المصير، والمعاناة، وشارك البعض منهم في الأحزاب السياسية الفلسطينية، ولعبت الكنيسة القبطية دورًا في تقريب وجهات النظر دعمًا لجهود إحلال السلام، كما أنَّ الحكومة المصرية والشعب المصري وقفوا موقفًا تاريخيًا دعمًا لقضيتنا العادلة، وهو يعتبر حلقة وصل لدور الأقباط في فلسطين . فيذكر أنّهم انخرطوا في صفوف المدافعين عن عروبة فلسطين عام النكبة 1948م وفي التصدي للعدوان الثلاثي على بلادهم عام 1956م»2، وإذا تحدثنا عن الأصل، والهويّة، والانتماء؛ نكتشف أنّ هناك مجلة متخصصة في الدارسات القبطية (مجلة أجنبية) أجرت حواراً مع بعض أقباط القدس بشأن الانتماء: هل هناك مشكلة حول ذلك الأمر؟ وكانت إجابة معظم هؤلاء نحن فلسطينيين من حيث الجنسية والهوية، ولكننا فقط ننتمي إلى الكنيسة القبطية من الناحية الدينية»[3] .

1-- يوسف، مرجع سابق، ص 161 .

2-- زخور، مرجع سابق، ص 72

3- - عادل، مرجع سابق .

2 ـ الاعتداءات على المقدسات المسيحية والقبطية:

في عيد الفصح من العام 1970م وبالتحديد في 25 أبريل، احتل المئات من قوات الاحتلال بأسلحتهم كافة مقر البطريركية القبطية الأرثوذكسية بالقدس ودير السلطان، مدّعين كعاداتهم إنها مجرد إجراءات أمنية لحماية الاحتفالات بعيد القيامة مما تسبب في إلغاء الاحتفالات، وقام الجنود الصهاينة بضرب رهبان الدير، وفي منتصف ليلة العيد وأثناء الاحتفال قامت سلطات الاحتلال بتغيير أقفال الأبواب الأربعة المؤدية إلى كنيسة، وتغيير أقفال باب كنيسة الملاك ميخائيل الموصل إلى ساحة القيامة، كما قاموا بوضع الحواجز الحديدية أمام أبواب الدير، ومنعوا الأقباط من الاقتراب من الدير أو الذهاب إلى مقر البطريركية عبر الطريق المؤدي إليها منه، مما أثار الفزع والرعب في قلوب الأقباط.

وفي صباح اليوم التالي وبالتحديد 26 أبريل 1970م قامت سلطات الاحتلال بتسليم مفاتيح الدير كافة إلى الأحباش الذين كانوا يقيمون بالدير»[1].

ـ دير الأقباط:

ليلة عيد الميلاد من العام 1970م داهم الجنود الصهاينة الدير المقام خارج كنيسة القيامة، وبالقرب منه، وسرقوا أشياء ثمينة من ممتلكاته واعتدوا بالضرب على المطران فاسيليوس وهو الشخصية الثانية في البطريركية الأرثوذكسية.

ـ دير مار يوحنا:

في عام 1989م استولى مجموعة من اليهود على دير مار يوحنا وهو ملاصق لكنيسة القيامة بالقوة، بتشجيع وتمويل من وزارة الإسكان الاسرائيلية. وخرجت المظاهرات

1- - عبد الحميد أبو النصر، (ورقة بعنوان اهم الاعتداءات على المقدسات الاسلامية والمسيحية في القدس مقدمة في مؤتمر بيت المقدس الدولي الرابع)، رام الله ، 2013م .

ضد هذا العمل وتعرض أثناءها البطريرك ثيودورس الأول للاعتداء من قبل الجنود (الإسرائيليين)، وبقيت مجموعة من المستوطنين تحتل جزءًا من الدير.

ـ كنيسة دير الروم الأرثوذكس:

واقعة على جبل الطور (جبل الزيتون) المطل على المدينة المقدسة، هدمت بتاريخ 1992/7/23م، بحجة عدم إكمال الترخيص.

ـ دير الطليان:

قامت عصابة يهودية بسرقة تمثال السيد المسيح في الدير وذلك بتاريخ 1995/5/20م.

ـ كنيسة السيدة مريم:

تقع الكنيسة في وادي قدرون في مكان متوسط بين سلوان وجبل الزيتون وباب الأسباط، وتحتوي الكنيسة على قبور (مريم البتول) ووالديها، وكذلك قبر (يوسف النجار) مربي السيد المسيح، وقد بنيت بين عامي 450- 457 م قامت سلطات الاحتلال بتجريف قبور في ساحة كنيسة السيدة مريم، وذلك لتعبيد طريق فوقها، وقد تمّ هذا الإجراء دون إعلام أهالي الموتى ليقوموا بنقل رفات موتاهم»[1].

ـ الكنيسة المعمدانية:

قامت عصابة يهودية بحرقها بما فيها مكتبتها وذلك سنة 1982م وفي ساعة متأخرة من ليلة 10/23/ 2007م أضرم المستوطنون النار في الكنيسة المعمدانية ما تسبب بإحداث أضرار بها .

ـ كنيسة الجثمانية:

بنيت هذه الكنيسة فوق صخرة الآلام، التي يُعتقد أنْ المسيح صلَّى وبكى عليها، قبل أنْ يعتقله الجنود الرومان، وهي أيضاً المكان الذي اختبأ المسيح وتلاميذه في حديقتها قبل اعتقاله وأخذه إلى القدس.

في 18أيار1995م قام مستوطنون إسرائيليون بمحاولة إضرام النار داخل كنيسة

1- أبو النصر، مرجع سابق .

الجثمانية، وفي عام 1998م دخل جندي إسرائيلي إلى الكنيسة، وأطلق النار على المصلين فيها . وفي 2010/1/20م عقدت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات مؤتمراً صحفياً، كشفت خلاله قيام سلطات الاحتلال وأذرعه المختلفة، بحفريات جديدة تمتد من قمة جبل الزيتون حتى كنيسة الجثمانية، بما يهدد بانهيارات كبيرة في أماكن الحفريات.

ـ الكنيسة الروسية:

تقع في قرية عين كارم الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة القدس، وتمت مصادرة أرض وأوقاف تابعة لها، شيدت عليها فيما بعد مبانٍ عدةٌ، ووزارات، ودوائر حكومية إسرائيلية كتسجيل الأراضي والمالية والزراعة بالإضافة إلى مستشفى (هداسا).

وقد شملت الاعتداءات دير الروح في قرية العيزرية شرق مدينة القدس؛ حيث قامت جماعات يهودية متطرفة بتفجير قنبلة داخل الدير. كما تمّ تدنيس وتشويه معالم كنيسة القديس جيورجيوس الواقعة في بركة السلطان بالقدس، وتحولت فيما بعد إلى نادٍ ليليّ، ونقل جرس الكنيسة إلى ما يسمّى (حديقة الحرية)، القائمة على أراضي وقفٍ لدير الروم المستولى عليها»[1].

وفي كنيسة القديس بولس الأسقفية قامت جماعة يهودية متطرفة بإشعال النار فيها مِمَّا تسبب في احتراق أحد أبوابها، كما احترقت العديد من الكتب الموجودة بالكنيسة . وفي 2010/2/5 اقتحمت قوات الاحتلال كنيسة عمواس الواقعة في بلدة القبيبة شمال غرب المدينة المقدسة، بعد أنّ حاصرت سيارات عسكرية الكنيسة، وقام عدد من عناصر الجيش (الإسرائيلي) بالاقتحام، ملزمين حراسها بفتح أبوابها دون مراعاة لحرمة المكان المقدس، إضافة إلى إطلاقها القذائف في المكان.

كما رفضت بلدية الاحتلال في القدس أيَّ ترخيص لبناء كنائس داخل البلدة القديمة، وشعفاط، وبيت حنينا، ومار إلياس، ووضعت إشارة منطقة خضراء على أراضي الوقف في جبل صهيون؛ لمنع استغلالها، وحولت بنايات الوقف في شارع الأنبياء إلى متحف ومركز للأدوات الصحية، وعمدت كذلك إلى مصادرة واستيلاء على أراضٍ وقفية مسيحية كثيرة أبرزها»[2]:

1- - أبو النصر، مرجع سابق .

2- ابو النصر، مرجع سابق .

- الاستيلاء على مساحة من الأراضي الملاصقة للدير في السامرية عام 1979م.
- الاستيلاء على الأراضي الوقفية في حي الطالبية وديـر أبي طـور وأبي غـوش وديـر الصليـب.
- إقامة مستعمرة معاليه أدوميم على أراضي الوقف قرب العيزرية وأبو ديس.
- الاستيلاء على بيارة دير الروم والبنايات القائمة عليها في قرية البريج في منطقة القدس.
- مصادرة املاك أراضي الوقف في باب العامود وتحويلها إلى منتزه وساحة للسيارات.

كما تعرض رجال الدين المسيحيون للاعتداءات الجسدية بشكل وحشي، ما يضيف شكلاً آخر من الانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال بحق المكان المقدس ومشاعر المصلين .

في عام 1967م اعتلى جنود إسرائيليون سطح كنيسة القيامة ودير الروم الأرثوذكس، واعتدوا على رجال الدين المسيحي، بالقرب من كنيسة القديس قسطنطين وحاولوا لاحقاً سرقة صليب، وأيقونة من سيارة المطران تيودروس مطران الروم الأرثوذكس في القدس.

وفي عام 1998م قتل (الإسرائيليون) الراهب اللاتيني في كنيسة الشياح على جبل الزيتون في القدس»[1].

وفي عام 1999م عمد الصهاينة إلى قتل والدة الراهب الأرثوذكسي يواكيم رئيس دير المصعد على جبل الزيتون في القدس.

وكذلك تعرض عدد من رجال الدين المسيحي للنفي خارج البلاد، واعتقال عدد آخر منهم، وكان على رأس المعتقلين المطران كبوشي الذي كان بطريرك القدس للطائفة الأرثوذكسية الذي نُفي من فلسطين، ولكنه ظل يواصل نضاله على الرغم من أنّ الكنيسة الأرثوذكسية عينته بطريركاً في البرازيل لإبعاده عن ساحة الصراع في فلسطين مع المحتلين الإسرائيليين .

وفي حصار كنيسة المهد عام 2002م أشرف راهب قبطي على تأمين الغذاء والدواء للمحاصرين داخل الكنيسة لأكثر من شهر .

1-- أبو النصر، مرجع سابق .

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة واحدة من أهم الطوائف الأرثوذكسية والمسيحية بصفة عامة في المدينة المقدسة، كبداية لتناول باقي الطوائف، والديانات، والأقليات؛ لنسلط الضوء على التركيبة المقدسية، وتنوع ثقافتها، وانفتاحها التاريخي، وتعايشها السلمي الإسلامي، والمسيحي رغم أحقاد الغزاة، وما ذكرناه اليوم في هذا الكتاب: هو نتاج لتلك الحقب الزمنية التي أفرزت وجود الأقباط في فلسطين وما ترتب عنه، وأعتقد أنّ هناك عدة نقاط قد نلخصها في هذا الموضوع :

1. إنّ الوجود القبطي في فلسطين رغم محدوديته وقلته إلّا أنّ له الأثر الكبير، وشهد على جزء مهم في تاريخ بيت المقدس، وخاصة بعد الفتح الإسلامي، وانتعش وتزايد وجوده في التاريخ الحديث الذي ذَكر هذا الوجود في مراسلات مهمة خاصة في الحقبة العثمانية .

2. أنّ البريطانيين والفرنسيين، وغيرهم من الدول العظمى كانوا يلعبون دورًا مهمًّا في محاولة للتأثير على الوجود المسيحي في القدس، ودعم طائفة على حساب أخرى، وزرع بذور الفتنة، وفرض الوصاية على كنائس بيت المقدس كل برؤيته في محاولة للتدخل في شؤون المدينة الداخلية؛ بحجة حماية الرعايا رغم أنّ القدس تاريخيًا شهدت التعايش دون التدخل الأجنبي .

3. أنّ حالة الاستقرار في الحياة المصرية بين الأقباط والمسلمين لم تنعكس بالباتة على الحياة القبطية في القدس، بل بالعكس حرصت الكنيسة القبطية والقيادة المصرية على حفظ التراث الإنساني للأقباط، ومتفقين على ذلك للأبد.

4. أنّ الأقباط لم يسلموا مثل الشعب الفلسطيني من بطش الاحتلال والمضايقات التي لم تثن الأقباط يومًا عن الحفاظ على أديرتهم وكنائسهم في القدس، وفلسطين، والصراع على البقاء .

5. الشعب المصري قبطي، ومسلم متفقون على دعم حقوق الشعب الفلسطيني، وتحقيق حريته وإقامة دولته كموقف قديم جديد ثابت لا يتغير، وهو معلن من قبلهم .

ملاحق

العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد الله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهدانا من الضلالة وجمعنا به بعد الشتات والف قلوبنا ونصرنا على الأعداء ومكن لنا من البلاد فجعلنا اخوانا متحابين واحمد الله على هذه النعمة . هذا كتاب عمر بن الخطاب لعهد وميثاق أعطى إلى البطرك المسجل المكرم وهو صوفرونيوس بطرك الملة الملكية في طور الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا وأن يكون عليهم الأمان وأن الذمي إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا وليقطع عنهم أسباب حوائجهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعة والخضوع وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم وديراتهم التي بيدهم داخل وخارج القيامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام كنيسة الكبراء والمغارة ذي الثلاثة أبواب قبلي وشمالي وغربي وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك وهم : الكرح والحبش والذين يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة التابعين للبطرك المذكور فيكون متقدما عليهم؛ لأنهم أعطوا من حضرة النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريمة وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم كذلك نحن المؤمنين إليهم إكراما لمن أحسن اليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من البلايا كافة في البر والبحور وفي دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء وأما اللذين يقبلون إلى زيارة القيامة يؤدي النصراني إلى البطرك درهم وثلث من الفضة . وكل المؤمن ومؤمنه بحفظ ما أمرنا به سلطانا أم حاكمًا أم واليًا يجري حكمه في الأرض غني أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات .

وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام عبدالله ، وعثمان بن عفان وسعد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وبقية الإخوة الصحابة الكرام . فليعتمد على شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به وإبقاءه في أيديهم . وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد الله رب العالمين. حسبنا الله ونعم الوكيل .

في العشرين من شهر ربيع الأول خامس وعشرة للهجرة النبوية وكل من قرى مرسومنا هذا من المؤمنين ومخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضًا .

وشهد على ذلك : خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. .

رسم توضيحي لكنيسة القيامة يبين الأديرة والأركان التابعة للأقباط

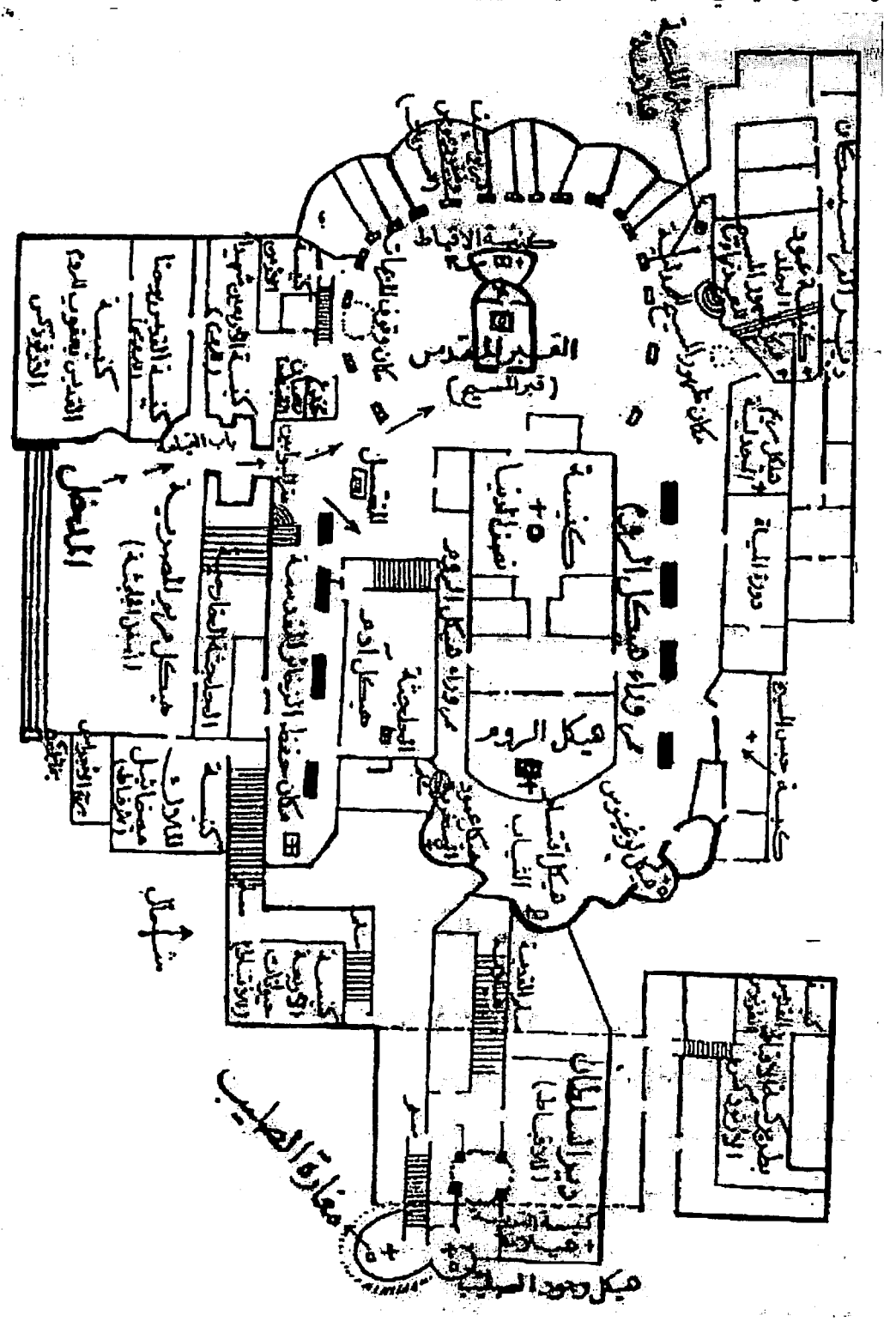

مخطط عام لكنيسة القيامة

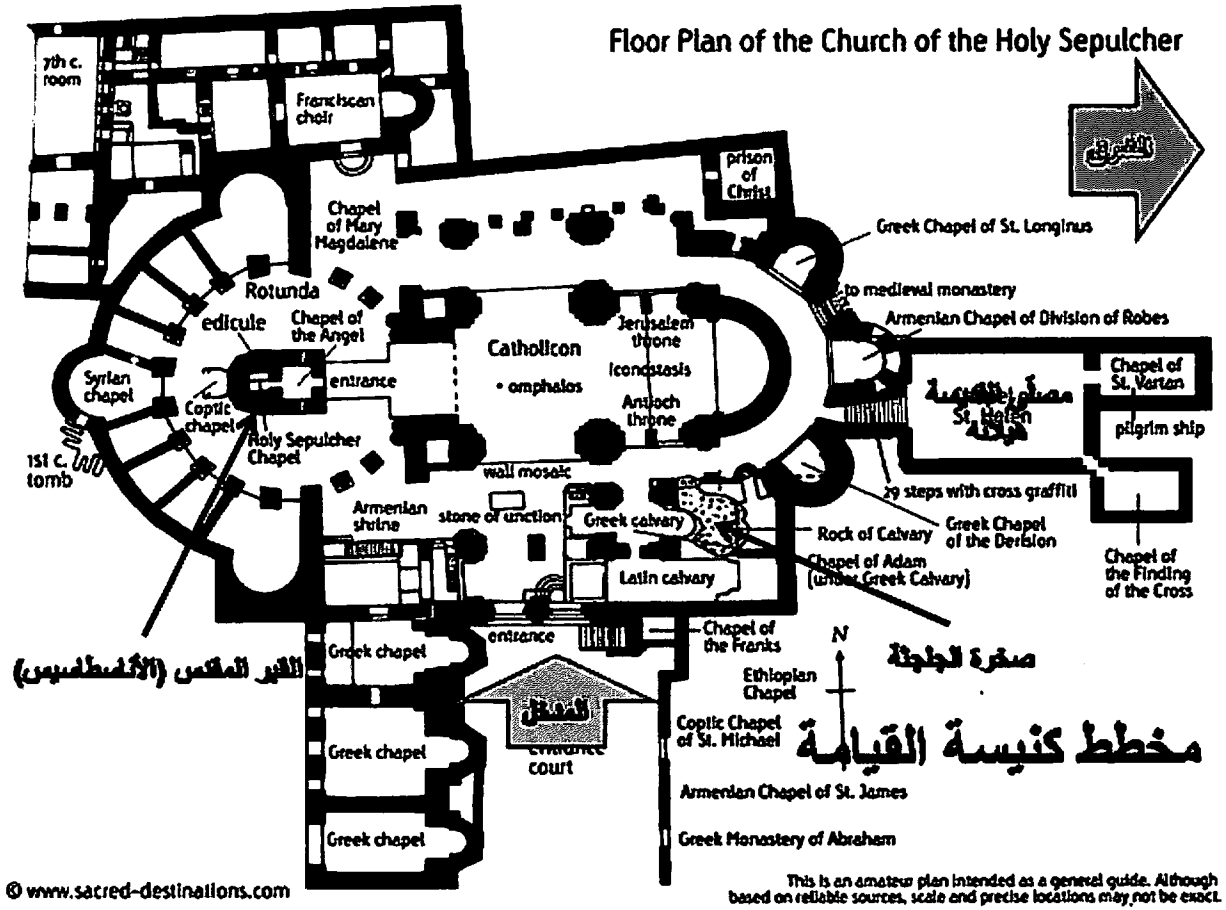

قائمة المراجع

1. أبو النصر، عبد الحميد، غزة، آثار، وصور، غزة،2011م، الطبعة الأولى.
2. ديل، هلجا وآخرون، عالم الأقباط، إبراشية، النمسا،2004م، الطبعة الاولى .
3. دياب، عبد المجيد، تحقيق مخطوط تاريخ الأقباط، المعروف بالقول الإبريزي، للعلامة المقريزي، دار الفضيلة،1441م .
4. زخور، فرج توفيق، قصة الأقباط، لبنان، جروس برس، 1993م، الطبعة الأولى .
5. حمادة، حسين عمر حمادة، آثار فلسطين، دمشق، 1983م، الطبعة الأولى .
6. يوسف، أبوسيف، الأقباط والقومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1987م، الطبعة الأولى .
7. كاشف، سيدة، مصر الاسلامية وأهل الذمة، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة .
8. عادل، مايكل، الأقباط والقدس بين الحق الضائع والحلم الممنوع، القاهرة،2011م، صحيفة روز اليوسف، العدد1912م.
9. عبد السيد، انتوني، مشكلة دير السلطان بالقدس، القاهرة، مكتبة مدبولي،1991م، الطبعة الأولى .
10. عفيفي، محمد، الوجود القبطي في القدس حتى القرن العشرين، عمان، أبحاث الندوة السادسة (هوية القدس العربية والإسلامية)،2 - 5 تشرين أول1995م.
11. العوا، محمد سليم، الأقباط والمسلمون، القاهرة، دار الشروق،1987م، الطبعة الأولى .
12. عوض، جرجس فليوثاؤس، أملاك القبط في القدس الشريف، القاهرة،1924م، ج1، الطبعة الأولى .
13. رزق، دمتري، دمتري رزق، قصة الأقباط في الأرض المقدسة، القاهرة،1967م، الطبعة الاولى.

دوريات وصحف:

1. صحيفة القبس الكويتية، الأقباط في القدس شاهد ومسيرة، ميسة أبو غزالة، العدد13068.
2. صحيفة القدس اليومية، كنيسة القيامة بين سماحة المسحيين وحكمة المسلمين، محمد الشنطي،2011/6/5م .

مواقع الكترونية :

1ـمؤسسة القدس :

http://www.alquds-online.org/index.php?s=13&id=729

2ـ موسوعة الأقباط :

http://www.coptichistory.org

أوراق مؤتمرات:

١ ـ عبد الحميد أبو النصر، (ورقة بعنوان أهم الاعتداءات على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، مؤتمر بيت المقدس الدولي الرابع)، رام الله،٢٠١٣م.